مجلة البحوث والدراسات الإفريقية ودول حوض النيل	المجلد ٨ العدد ٢ أكتوبر ٢٠٢٤
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني ٤٤٥٠ -٢٦٨٢	Website: https://mbddn.journals.ekb.eg/
© تصدر عن معهد البحوث والدراسات الافريقية ودول حوض النيل – جامعة اسوان – جمهورية مصر العربية	E-mail: afr.journal@aswu.edu.eg

مشاركات العلماء والقضاة في الاحتفالات الدينية في مملكتَيّ مالي وصُنغي (٦٢٨- ١٠٠٠هـ/١٢٣٠-١٥٩١ م)

Contributions of Scholars and Judges in Religious Celebrations in the Kingdoms of Mali and Songhai (628-1000 AH / 1230-1591 AD

هويدا إبراهيم عبدالله سيد(١)* ، سوزي أباظة محمد (٢)، محمد خليفة ركابي٠(٣)

١	المؤلف المختص*: معيدة بقسم التاريخ ـ معهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل، جامعة أسوان
٢	أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة
٣	مدرس التاريخ الإسلامي، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ودول حوض النيل- جامعة أسوان

الملخص

يعرض البحث موضوع مهم ألا وهو مشاركات العلماء والقضاة في الاحتفالات الدينية في مملكتَيّ مالي وصُنغي (٦٢٨- ١٠٠٠هـ/١٢٣٠-١٥٩١ م)، حيث كان للعلماء والقضاة دور بارز في مملكتَيّ مالي وصُنغي، مما يؤكد مدي تغلغل عقيدة الإسلام في تلك البلاد آنذاك، حيث كان لهم الاحترام والتقدير من جميع طبقات المجتمع سواء الخاصة أو العامة، حيث كانوا في مقدمة الناس في الاحتفالات الدينية، ممايوكد مدى المكانة العليا التى حظوا بها بين الحكام والمحكومين، لذلك تمت مناقشة مظاهر تلك الاحتفالات من خلال احتفاء العامة بالعلماء والقضاة، وقد برز دور مشاركتهم في تلك الاحتفالات مع العامة وذلك من خلال احتفالات حفظة القرآن الكريم، كما تم توضيح تلك المكانة داخل المجتمع من خلال دورهم في المراكز والمنشآت الدينية ، لذلك انقسم البحث إلي ثلاثة عناصر رئيسة:

أولًا: مظاهر احتفاء الحكام بالعلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي.

ثانيًا: مظاهر احتفاء العامة بالعلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنعي.

ثالثًا: مراكز الاحتفال بالمنشآت الدينية وطقوسها كالمساجد والكتاتيب في مملكتَيّ مالي وصُنغي.

الكلمات الافتتاحية: مملكتي مالي وصنغي، الاحتفال بالعلماء والقضاة، الاحتفالات الدينية، احتفالات العامة.

*** Abstract:**

The research presents an important topic, namely the contributions of scholars and judges in religious celebrations in the kingdoms of Mali and Songhai (628-1000 AH / 1230-1591 AD). Scholars and judges played a prominent role in these two kingdoms, reflecting the deep-rooted influence of Islamic beliefs in those regions at the time. They were respected and esteemed by all segments of society, both the elite and the general populace. Scholars and judges were at the forefront of religious celebrations, highlighting the high status they enjoyed among both rulers and subjects.

The research discusses various aspects of these celebrations, focusing on how the public honored scholars and judges. Their participation in public celebrations was evident, particularly in events celebrating those who had memorized the Qur'an. Additionally, their status within the community was demonstrated through their roles in religious centers and institutions. Thus, the study is divided into three main sections:

1. Manifestations of the rulers' honoring of scholars and judges in the kingdoms of Mali and Songhai.
2. Manifestations of the public's honoring of scholars and judges in the kingdoms of Mali and Songhai.
3. Centers of celebration in religious institutions and their rituals, such as mosques and schools, in the kingdoms of Mali and Songhai.

Keywords: Kingdoms of Mali and Songhai, honoring scholars and judges, religious celebrations, public celebrations.

مقدمة:

كان للعلماء في مملكتَيّ مالي وصُنغي دور مهم في التصدى للعادات الوثنية، وكان لهم دور إيجابي في محاربة الظلم وبطش الحكام، أما القضاة فقد كانوا من العلماء الفقهاء، وكانوا أكثر شهرة بينهم واحترامًا وكانوا من أرقى طبقات المجتمع و ملجأ العامة من استبداد الحكام وغيرهم.

وهناك آيات قرآنية وأحاديث نبوية تشيد من سمو وعلو ورفعة مكانة العلماء كقول الله تعالي:"

إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ "[١]، وقول رسول الله– صل الله عليه وسلم:" من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلي الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتي الحيتان في الماء، وفضل العالم علي العابد كفضل القمر علي سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر."[٢]

كان ملوك مالي وصُنغي شديدي الاحترام للعلماء والقضاة، ويظهر ذلك في لبس الفقهاء والقاضي للطليسان في سائر الأيام، كما أنه كان القاضي هو فقط الذي يسمح له بمصافحة الملك بالأيدي، وكان العامة يعتبرون العلماء والقضاة هم الحماية لهم من بطش الحكام، وقد زاد نفوذ العلماء والقضاة في عهد مملكتَيّ مالي وصُنغي كان الحكام والعامة يبجلونهم كثيرًا.

وينقسم موضوع البحث لأربعة عناصر رئيسية:–

أولًا: مملكتَيّ مالي وصُنغي، ثانيًا: مظاهر احتفاء الحكام بالعلماء و القضاة في مملكتَىّ مالي وصُنغي، ثالثًا: مظاهر احتفاء العامة بالعلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنعي، رابعًا: مراكز الاحتفال بالمنشآت الدينية وطقوسها كالمساجد والكتاتيب في مملكتَيّ مالي وصُنغي، وكانت فئة العلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي يمثل القلب النابض، حيث إذا توقف شلت باقي الحركة، حيث يقول رسول الله– صل الله عليه وسلم: "صنفان من أُمتي إذا صلحَا صلح الناس، وإذا فسدَا فسد الناس: السلطان والعلماء"[٣] .

فقد تمتع العلماء بمكانة بارزة لدي السلاطين في مملكتَيّ مالي وصُنغي، وتمتع هؤلاء بمكانة إجتماعية مرموقة فقد قاموا بدور إجتماعي بارز في الملكتين.[٤]

وقد لعب رجال الدين دورًا هامًا فى نشر الثقافة الدينية والعمل على بثها فى أوصال الشعوب بما كانوا يمتلكونه من قوة روحية مؤثرة، فقد كانوا يشكلون صمام الأمان الديني بالنسبة للملك، فهم وإن كانوا تحت

---

[١] سورة فاطر: الآية (٢٨).

[٢] أبي داود: سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ت، ج٣، ص٣١٢، الطبراني: مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج٢، ص٢٢٤.

[٣] دينا أحمد عبدالجواد: دور القضاة والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي ٦٣٦–١٠٠٠هـ/١٢٣٨–١٥٩١م، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، ع٥٨، ٢٠٢٠م، ص١٢٤.

[٤] المرجع السابق: ص ١٣٢.

إمرته، إلا أنهم كانوا بمثابة الكيان الذى يمنحه القوة الروحية ويبررون رفعته وألوهيته ويحافظون على مكانته رسميًا وشعبيًا، فضلًا عن كونهم من يرعى شؤون العبادة والحفاظ على طقوسها داخل وخارج دور العبادة، فإنه وإن كان للملك سلطاته الدينية والتشريعية، إلا أنه – في أغلب الأحوال– كان ينتبدهم للقيام بأعباء المهمة الدينية، وبذلك تميز نشاطهم المباشر بتخصصهم في رعاية العبادة، عبادة الآلهة وكل ما يتصل بهذه العبادة من مظاهر خارج دور العبادة، ولم يكونوا فى يوم من الأيام طائفة منعزلة [١] بل كانوا حقلة وصل يجمعون الحكام والعامة فيما بينهم، وبهم كان المجتمع يسوده الإستقرار.

وهنا يمكن القول بأن رجال الدين والعلماء والفقهاء والقضاة كانوا من الطبقة المقربة للملوك والسلاطين على الدوام، وقد أدر الملوك ما لهم من دور فعال فى تقريب الشعوب إلى الحكام والسلاطين وانصياعهم لهم، لذا فقد عمل الحكام والسلاطين فى مختلف العصور على استمالة تلك الطبقة من العلماءوالقضاة والفقهاء ورجال الدين (من خلال الاحتفاء والاحتفال بهم مرأى ومسمع من عامة الشعب) ليكونوا فى طليعة الحاشية التى يمسكون من خلالها بزمام الأمور.

أولًا: مملكتَيّ مالي وصُنغي:

تعتبر مملكتَى مالى وصُنغي من أهم الممالك التي عرفت تاريخيًا وجغرافيًا بالسودان الغربي[٢] التي تعتبر واحدًةً من ممالك بلاد السودان الكبرى[٣]، تلك البلاد التي سماها المؤرخون العرب المسلمين ببلاد السودان نسبة لسواد بشرة سكانها، والتى يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الغرب المحيط الأطلسي، تلك المنطقة التي قُسمت إلى سودان شرقي وأوسط وغربي[٤]، تلك المنطقة التي تقع جنوب الصحراء الكبرى والممتدة بين المحيط الأطلنطي غربًا وثنية

---

[١] **خزعل الماجدي: الحضارة المصرية، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٢٠، ص٥٦.**

[٢] هم الأفارقة السود، وأطلقت عليهم المصادر العربية إسم السودان، وإليهم تنسب بلاد السودان، كما يعرفون أيضا باسم الزنوج، ويمثلون الأغلبية الساحقة لسكان منطقة الأنهار الكبرى مثل السنغال والنيجر وغينيا، وبلاد الحبشة وجميع أفريقيا جنوب الصحراء، وتعد هذه العناصر كثيرة العدد ومختلطة كثيرا فيما بينها.

Gouvernement general de l' Afique occidentale francaise: Le Soudan. Societe d'editions geogra – phiques maritimes et colonials, Paris. 1931, p23.

[٣] بلاد السودان الكبرى، التى يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الجنوب الغابات الاستوائية، ومن الشرق البحر الأحمر، ومن الغرب المحيط الأطلسي، والتى قسمت بدورها إلى سودان شرقي وأوسط وغربي. (عثمان بناني: السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون، مقال بمجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٦٩، إبريل ١٩٨٨م، ص ٥ – ١٠.)

[٤] أحمد صديقي: السودان، ترجمة: أحمد الشنتناوي، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، ع ١٢، ، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٣٣٧-٣٣٨.

نهر النيجر[١]، وبحيرة كوري (بحيرة تشاد)[٢] شرقًا، كما تقع شمال خط الاستواء وجنوب الصحراء الكبرى، وتمثل هذه المنطقة الظهير المتاخم لبلاد المغرب وتفصل بينهما الصحراء الكبرى، وهي منطقة شبه استوائية مرتفعة الحرارة تكثر بها الأمطار، ويجري بها نهري السنغال[٣] والنيجر، وتبلغ مساحة هذه المنطقة نحو سبعة ملايين كيلو متر مربع[٤]، ومن حيث التكوين الإداري، فقد كان السودان الغربي يضم كل من بلاد:

---

[١] نهر النيجر: يعد أطول أنهار أفريقيا بامتداد ٤١٨٠ كم، ويمثل نقطة التقاء للعديد من الدول حيث يدخل نيجيريا من جهة الشمال الغربي، مكوِّنًا نقطة إلتقاء حدود كلٍّ من داهومي والنيجر ونيجيريا عند دخوله، ويتجه داخل النيجر صوب الجنوب الشرقي، ليلتقى بروافد عدة ويتجه بعد ذلك جنويًا في مجري واسع نسبيًّا، قبل أن يتفرع إلى دلتاه العديدة الفروع على بُعْد ١٢٠ كيلومترًا من البحر، وتقع على الفروع العديدة عدة موانئ أهمها: بورت هاركورت وبوني في الشرق، وواري وسابليه وبوروتو في الغرب. (محمد رياض، كوثر عبد الرسول: أفريقيا: دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٣٩٠-٣٩٣).

[٢] بحيرة تشاد: تقدر مساحتها بحوالي ٢٣٠٠٠ كيلومتر مربع، تعد مصبًا لمجري نهري شاري ولوغون. ويمتد إلى الشمال من حوض البحيرة حوض منخفض آخر يعرف باسم حوض بودليه، ويربط بين الحوضين مجري مائي غير عميق يعرف باسم بحر الغزال، ويمتلئ حوض بودليه بالمياه في فترات معينة وخاصة عندما تفيض مياه البحيرة. (عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٠ – ١٢٢. أطلس تشاد-مطابع Mame فرنسا، ط ٢٠٠٨م، ص ٦١).

[٣] يعد نهر السنغال واحدًا من أطول الأنهار الأفريقية وأشهرها ويعد ثانى أكبر الأنهار فى منطقة غرب أفريقيا، حيث يصل طوله إلى ١٧٩٠ كم من منبعه فى جبال فوتا جالون Fouta-Djalon في غينيا إلى مصبه فى المحيط الأطلنطي بالقرب من مدينة سانت لويسSaint Louis ، يمر خلال رحلته بأربع دول (غينيا، ومالي، والسنغال، وموريتانيا).(كوثر عبد الحفيظ: نهر السنغال أشهر الأنهار الأفريقية، مجلة أفريقيا قارتنا، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٨، نوفمبر ٢٠١٣م، ص١- ٢، إيمان عبد المنعم زهران: التغيرات المناخية والصراع الاقليمي في الشرق الأوسط، المكتب العربى للمعارف، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١١٦.

United Nations Environment Programme (UNEP) & Water Research Commission (WRC), Fresh water under threat: vulnerability assessment of fresh water resources to environmental change – Africa, (Pretoria: Council for Scientific and Industrial Research UNEP, Report No.4, 2008, P.218).

[٤] ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٨٩٢م، ص٩٩، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٠م، ص ١١٢، ١١٤، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ٢٠٠١م، ج١، ص ٢٧، الشيخ الأمين عوض الله وآخرون: تجارة القوافل ودورها الحضاري، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، ط ١٩٨٤م، ص٦٩، نور الدين شعباني: محاضرات في ممالك السودان الغربي، دار الجزائر للنشر، الجزائر، ٢٠١٥، ص٤، حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص١٣٧.

التكرور[١]، مملكة غانة[٢]، ومملكة مالي[٣] ومملكة صُنغي[٤]، وعلى ذلك يطلق اسم السودان الغربي على جميع الأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى التي انتشر فيها الإسلام، بيد أنه لم ترد في كتابات ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٨م) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م)، ولا عند هؤلاء الذين جاءوا بعدهما في القرون الخمسة التالية، بل وحتى في كتابات المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين الذين سبقوهما الاهتمام بهذه المنطقة المسماة ببلاد السودان الغربي، لأن هذه العبارة لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر الميلادي عندما تم اكتشاف منابع نهري النيل والنيجر، وقد أطلق الأوروبيون اسم "السودان الغربي" على منطقة نهري

---

[١] التكرور(أو إمارة التكرور الإسلامية): تقع على الضفة اليسرى لنهر السنغال، تُعد من أولى المناطق التي دخلها الإسلام في السودان الغربي بحكم القرب الجغرافي من بلاد الإسلام، وقد ظهر مصطلح (إمارة التكرور الإسلامية) في القرن الخامس الهجري ليقصد به فقط مملكة التكرور الإسلامية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي من بلاد السودان، لكن بعد ذلك اتسع ليقصد به أحيانًا جميع سكان السودان الغربي، وأحيانًا يرادف معنى مملكة مالي، ويروى أن اطلاق الإسم على كل السودان الغربي كان ناتجًا عن أسبقية أهله في اعتناق الإسلام. (البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك، الممالك، مكتبة المثني، بغداد، العراق، ١٩٦٨م، ج٢، ص ٣٥٩ – ٣٦٠، ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ، ص٢٧،٩١، العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،ج١، ص٦٠، الدواداري: كنز الدرر وجامع الغرر"الدرر الفاخر في سير الملك الناصر"، تحقيق: هانز روبرت رويمر، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، ج٩، ١٩٦٠م، ص٣١٦-٣١٧، ابن خلدون: العبر، جـ٥، ص٩٣١، ابن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت، ج٤، ص٩٦علي السيد علي محمود: التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على أحوال مصر المملوكية، ضمن كتاب بعنوان «العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر»، إشراف رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص٨٥-٨٦

Nehemia Levtzion: Mamluk Egypt and Takrur, , Studies in Islamic History and Civilization, ed, M. Sharon, Leiden: E, J. Brill, 1986 ,p.184.)

[٢] مملكة غانه القديمة: مازال موقعها محل اختلاف، فقد ذكر أنها كانت عبارة عن مدينتين على ضفتَيّ أحد الأنهار، إحداها يسكنها المسلمون والثانية يسكنها غيرهم، ويذكر أن أطلالها تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا وجمهورية مالي الحديثة على الطريق الغربي القادم من مراكش، إلى الجنوب الغربي على بعد نحو مائتَيّ ميل شمال باماكو عاصمة مالي الحالية، وقد ذكرت المصادر العربية أن الإطار الجغرافي العام لمنطقة أوكار التي قامت عليها المملكة كان ما بين نهر السنغال غربًا والنيجر شرقًا، وعلى حدودها الشمالية كانت تتحرك القبائل البربرية الصحراوية. (حسن عيسى عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٩٠.)

Mauny, Raymond, Tableau Geographique de la oust Africain au mouyen- age, Mem de IFANB,No.61, DAKAR,1961, p, 509.)

[٣] يحيى بو عزيز: تاريخ أفريقيا الشمالية من مطلع ق ١٦ إلى ق ٢٠، دار البصائر، الجزائر، ١٩٩٦م، ص ٢٨.

[٤] محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تحقيق: هوداس ودولافوس، أنجي بريدن، ١٩١٣م، ص ٩١.

السنغال والنيجر[١]، وتعد كل من مملكتَيّ مالي وصُنغي من مكونات بلاد السودان الغربي، تلك البلاد التي سماها الجغرافيون العرب المسلمين ببلاد السودان[٢].

١- مملكة مالي (٦٣٦ – ٨٤١هـ / ١٢٣٦ –١٤٦٤م)

أطلق اسم مالي على مختلف المدن التي كانت عواصم للمملكة، ثم أطلق بعد ذلك على المملكة، وهناك بعض الألفاظ المحرفة من هذه الكلمة كالماندیه Mandes وهو اسم آخر لشعب مملكة مالي وتطلق على شعب مالي اسم ماندينغ Manding أو ماندينجو[٣] Mandingo ومعناها المتحدثين بلغة الماندي المحلية[٤]، وتأسست مالي علي أيديهم، ومؤسس المللكة هو الملك سندياتا (٦٣٦-٦٥٣هـ/١٠٢٣-١٢٥٥م)، وأشهر ملوكها منسا موسي، ففي عهده اتسعت رقعة المملكة بين نهر السنغال في الغرب وبحيرة تشاد في الشرق [٥]، في حين أطلقت علية مصادر أخرى ملّي[٦]، ومنذ القرن الثامن الهجري شاع تسمية الإقليم والمملكة التي كانت قائمة بمالي[٧].

غير أن المصادر العربية المحلية قد أسمته ملّ[٨]، وقد يرجع الإختلاف فى المسميات إلى أن بعض الصيغ كان يبرز في فترة زمنية ما، لكن في فترة زمنية أخرى تختفي لتحل بدلًا منها صيغة أخرى؛ ويوحي ذلك أنه ناشئ عن التنوع اللغوي السوداني.

حيث أطلق الفولانيون[١] عليهم إسم مالي، أما البربر فهي عندهم مل أو مليت، بينما أطلق المؤرخون العرب عليها إسم مليل[٢]، وجميعها أسماء لكيان سياسي قائم تتمثل بمملكة واحدة هي في النهاية مملكة مالي التي استمرت حتى سقوطها[٣].

---

[١] أحمد صديقي: السودان، ص ٣٣٧ – ٣٣٨.

[٢] عثمان بناني: السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون، ص ٥ – ١٠.

[٣] الماندينجو: من أرقى أجناس إفريقيا، وأكثرهم ذكاء، وأجدرهم بالاحترام والتقدير، وكانوا أكثر الفئات السكانية في إفريقيا تحمسًا للإسلام. (الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن ١٣- ١٥م، دار الملتقى للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠١م، ص ٢٤.)

[٤] هى اللغة المستخدمة من قبل شعب مملكة مالي التى كان يطلق عليها أيضًا بعض الألفاظ المحرفة كالماندیه Mandes. والماندينغ Manding أو ماندينكو Mandingo. ولم يقتصر استخدام اللفظ فقط على اللغة، بل كان يستخدم للدلالة على الشعب والمسكن. (جبريل نياني: مملكة مالي، سلسلة الدراسات الإفريقية، العدد الأول، عام ١٩٦٠م، ص٦٢، .Notes Africaines, Dakar, Avril, N82,1959,P.44).

[٥] اليعقوبي: كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية بالنجف، العراق، ط ٣، ١٩٥٧، ج١، ص١٩٣، ابن خلدون : العبر، ج٦، ص٢٦٦-٢٦٨.

[٦] الغرناطي: تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، تحقيق: د.إسماعيل العربي الجزائري، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٤٢.

[٧] العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص٦٠.

[٨] كعت: تاريخ الفتاش، ص٣٨.

ومن حيث الموقع، ذكر الغرناطي[٤] أنها بلاد تمتد على طول وادي النيجر الأعلى بمسافة لا تقل عن ثلاثمائة فرسخ، يحدها من الغرب المحيط الأطلسي ومن الشرق مملكة كاؤ ومن الشمال الصحراء الموريتانية ومن الجنوب جبال (الفوتادجالون)، وقد ذكر العمري عن عثمان أبي سعيد الدقلي الذي عاش في مالي خمسة وثلاثين عامًا، وقد كانت تلك المملكة تشغل الدول التالية في حينة (جمهورية مالي في الوسط وموريتانيا الجنوبية في الشمال والسنغال وغينيا في الغرب وأراضي ساحل العاج الشمالية والفولتا في الجنوب، وجمهورية النيجر في الشرق)، وبهذا يعد الموقع الذي شكَّلَ النواة الأولى لهذا الإقليم ممثلًا في أعالي نهري التكرور وغانة (السنغال والنيجر)، حيث كانت تُقيم فيه بعض القبائل السودانية التي استمدت اسمها من إسم الإقليم نفسه[٥].

وقد ظهرت مملكة مالي كقوة كبرى في منطقة السودان الغربي منذ بدايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي حين توسعت وسيطرت على أراضى مملكة غانة، وأخضعت قبائل الصُنغي أيضًا لسيطرتها

---

(١) قبائل الفولانيين: (Filani) مجموعة من قبائل السودان الغربي، كان لها أثر كبير في تاريخ غرب إفريقيا حيث كانوا يقيمون في المناطق الممتدة مابين مصب نهر السنغال في المحيط الأطلسي غربًا وحتى أعالي نهر النيجر، وقد اختلف الباحثون حول أصولهم، فمنهم من رأى أنهم قدموا من شرق إفريقيا، بينما رأى آخرون أنهم انحدروا من البربر أو اليهود الذين حكموا غانة، وبعد الإطاحة بهم انتقلوا إلى بلاد التكرور، واختلطوا بقبائلها، وتحدثوا بلغتهم، وبدورهم يرون أنفسهم أحفاد عقبة بن نافع، وقد توغلوا جنوبًا حتى مملكة غانة حيث قبائل الماندنجو، كما رحل فريق منهم إلى الشرق حتى منحنى نهر النيجر، فكان منهم السادة الحكام، والرعاة المتجولين، وفي كثير من المناطق التي تجولوا فيها أو مروا بها خلّفوا فروعًا لهم بقيت في عدد من أقاليم السودان الغربي، ومن أهم تلك الفروع قبائل الصوصو. (إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية الفولانيون الإسلامية، مجلة كلية الأداب، جامعة الرياض (الملك سعود)، العدد السادس، ١٩٧٩م، ص٩٦-٩٧، نبيلة حسن محمد: انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧١م، ص٨٧، محمد بلّو بن عثمان بن فودي: إنفاق الميسور في سيرة بلاد التكرور، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ١٩٩٦، ص٢٠٨ – ٢٠٩، حسن عيسى عبدالظاهر: الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا، ص٥٦، فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م، ص٨٢، Seligman: Races of Africa, P35.)

(٢) أحمد سيد حسين درويش: دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير غير منشوره، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٧.

(٣) القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصريه، القاهرة، ١٩٢٢م، ج٥، ص ٢٨٢، ٢٨٣، بشار أكرم جميل الملاح: الجيش على عهد إمبراطورية مالي الإسلامية، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، الجزائر، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠١٩، ص ٢٤٣.

(٤) الحسن بن محمد الفاسي الغرناطي الجغرافي والمؤرخ والرحالة والمعروف بـ "ليون الإفريقي" (١٤٨٣ – ١٥٢٦م).
جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانع، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، باريس – فرنسا، ١٩٨٨م، ص٦٢، Notes Africaines,DAKAR, Avril,N82,P.44

(5) Trimingham, J. S., The Influence of Islam Upon Africa. African affairs,V69,N274,1970,P60.

واستمرت في سيطرتها تلك حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[١]، فقد تأسست على أنقاض مملكة غانة، التي تعرضت لهجوم قبائل الصوصو[٢] الوثنية، بَيْدَ أنَّ سلطان الصوصو لم يدم طويلًا حيث تمكن الزعيم المالي "سندياتا" من الإطاحة بحكمهم وتأسيس المملكة [٣]، وتَّوحيد قبائل الماندينجو(الماندينغ)، بعد أن تمكَّن من الإطاحة بمملكة الصوصو بعد الانتصار الذى حققة عليهم فى معركة كيرينا (Krina)(٦٣٣هـ/١٢٣٥م)[٤]، حيث أمضى في حكم مالي مدة خمس وعشرين سنة، خلفه بعد وفاته عدد من الملوك أهمهم منسى موسى الحاج ومنسى سليمان[٥]، أما النظم الإدارية والتقسيم الجغرافى والإدارى، ضمت مملكة مالي أربعة عشر إقليمًا وقت أن كانت فى أوج ازدهارها وسيطرتها، يذكر منها كوكو وكابرا في الشرق وغانة وتكرور وصنغانة في الغرب، وكل إقليم كان يضم عددًا من القرى والمدن، يحكمه نائب عن

---

[١] البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ج٢، ص ١٧٨، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص ٢٨٢، ٢٨٣، بشار أكرم جميل الملاح: مالي الإسلامية، ص ٢٤٣، أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ١٩٩٩م، ص ٢٤٠.

[٢] الصوصو (أو السوسو): لقب كان يُطلق على قبيلة سودانية كانت تقيم بذات الإقليم ومنه حمل الإسم نفسه، حيث كانت تُقيم إلى الشرق من مملكة غانة، على حدود إقليم مالي، فى حين ذكرت الروايات الشفوية أنّ الصوصو مجموعة من القبائل المانكية، كانت تُقيم في منطقة جبلية تدعى كوليكورو، وكانياجا التابعة لمملكة غانة، وأنّ عاصمتهم تسمى صوصو، وهي تقع على بعد ٨٠كم شمال باماكو عاصمة دولة مالي الحالية' وعند قيام مملكة مالي في الثلث الأول من القرن السابع الهجري (النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي) ضُم هذا الإقليم إليها، وأصبح من أوائل الأقاليم السودانية التي انضوت تحت لوائها. (ابن خلدون: العبر، ج٥، ص٩٣٠ – ٩٣٧ و٤١٢، القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص٢٧٣، جبريل نيانى: مالي ، ج٤، ص١٣٧، إبراهيم علي طرخان: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ص٥٣. Trimingham: A History of Islam in West Africa, p59.

[٣] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأوالخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب اللبناني، بيروت، ج١، الطبعة الأخيرة، ١٩٦٨م، ج٦، ص ٢٣٧.

[٤] معركة كيرينا: وقعت عام(٦٣٣هـ/١٢٣٥م) بين سندياتا ملك مالى وسومنغور "سومانجورو" ملك الصوصو الوثني، فى موقع يطل على الضفة اليسرى لنهر النيجر حيث انتصر سندياتا في هذه المعركة، الذى كان يحكم مملكة مالي بعد الإنفصال عن غانا بعد تجهيزه لجيش كبير مؤلف من المشاة والخيالة والإبالة، وقد جعل قادة هذا الجيش من المالينك الذين كانت لهم دراية كبيرة بفنون القتال، وتعتبر تلك المعركة ذات شان كبير في تاريخ مملكة مالي الإسلامية حيث تعد بمثابة البداية الحقيقية لقيام المملكة. (المصدر السابق، ج٦، ص٤١٣، حسن حلمي أبو الفضل: السياسة الخارجية لمملكة مالى الاسلامية، جمعية الماجد للثقافة والتراث، مصر، ٢٠٠٩م، ص ٩.)

[٥] أحمد الشكري: الاسلام والمجتمع السوداني، ص ١٨٠– ١٨٤.

الملك يعرف باسم "فاربا"[١]، وما إن دبَّ الضعف في أرجاء مملكة مالي، وتمكَّن علي كلن من التخلص من سلطان مالي، وتوجيه الضربات الأخيرة لهذه المملكة في عهد ملكها ماري جاطة الثاني(٧٠٠هـ/٧٠٥هـ-١٣٠٠/١٣٠٥م)، فقد فتح ذلك المجال أمام مملكة صُنغي الجديدة لتشق طريقها وتوسع حدودها، خاصة زمن سني علي، الذى حاصر مدينة جني، مدة سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام[٢] ومن ثم الاستيلاء على باقي أقاليم مالي، غير أن مواصلة الجيوش الصُنغية لهجومها على الإمبراطورية المالية عجَّل بسقوطها وسقوط الأسرة الحاكمة بعدما تم أَسْر واحتجاز دار سلطان ملي[٣].

٢-مملكة صُنغي (٨٤٢ – ١٠٠٠هـ/ ١٤٦٤ – ١٥١٩م):

تعتبر أقدم الممالك التي كانت بالسودان الغربي، وهي آخر وأكبر الممالك التي ازدهرت بالسودان الغربي خلال العصر الإسلامي[٤]، وقد شهدت مملكة صُنغي ثلاث أسر حاكمة، كانت الأولي أسرة الأزواء وكان أول حكامها زا الأيمن، و مايهمنا هنا هي الأسرة الثالثة(آل سني) التي تمكنت من القضاء علي مملكة مالي، ومؤسسها سني علي كولن وأخوه سليمان نار، والأسرة الرابعة(الأساكي) وهي التي حكمت صُنغي، ومؤسسها الأسكيا الحاج محمد الكبير(٨٩٨-٩٣٥هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م)[٥]، تُعرف مملكة صُنغي: تعرف بـ(أو صُنغى- سُنغى – سونقهاى- صونغهاى- صنغاى- سنغاى) حيث كان لها دور بارز في تاريخ بلاد السودان الغربي، وقد عاصرت مملكة غانة ومملكة مالي، ولم تستطع أن تقاوم الحركة التوسعية الكبرى التي تمت في عهد منسى موسى ملك مالي، وظلت على خضوعها حتى بدأ الضعف يظهر على مملكة مالي، وعند ذلك استردت استقلالها وبدأت تعمل على تدعيم سلطتها[٦]، إلى أن حلت محل مملكة مالى وبسطت نفوذها كمملكة بهذا الاسم حتى سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٤م، وكانت مدينة جاو[٧] عاصمة لها منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وأصبحت مملكة صُنغي منارة لحضارة الإسلام ومبادئه

---

[١] العمرى: مسالك الأبصار، الباب العاشر، ص ٦٠، ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق :محمد عبدالمنعم العريان، دار احياء العلوم، بيروت،١٩٨٧م، ج ٢، ص٧٧٦، ٧٩٥.

[٢] أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص١٩٧.

[٣] كعت: تاريخ الفتاش، ص٤٢.

[٤] قمر الدين محمد فضل الله: " لمحة تاريخية عن مملكة سنغاي الاسلامية١٤٩٨-١٥٩١"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابس، ١٩٨٧م، ص٢١٥.

[٥] السعيدي: ملوك السودان أهل صنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ومن ملكها من الملوك، تحقيق: هوداس وبنوه، مطبعة انجى بروين، فرنسا، ١٨٥٨م، ص٣،٦، عبدالقادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١م، ص٧، هارون المهدي ميغا: امبراطورية سنغاي، دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقية، مجلة دراسات أفريقية، العدد٣٧، السنة٢٣، يونيو ٢٠٠٧م، ص١١٩، ١٤١.

[٦] الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، ص ٦٦.

[٧] حاضرة جاو: تقع إلى الشمال الشرقي من باماكو عاصمة مالي الحالية، عند منحى نهر النيجر، تبعد عن مدينة تنبكتو بحوالي أربعمائة ميل إلى الجهة الجنوبية الشرقية، كانت تعد أحد الأقاليم الأربعة عشرة الكونة لمملكة صُنغى، تأسست في

وقد قامت إمارة صُنغي الأولى في إقليم دندي[١]، وقد استقبلت فيما بعد هجرات بربرية صنهاجية من بربر لمطة والطوارق[٢] الذين اندمجوا مع السكان المحليين، ويرجع تاريخ أول مملكة في صُنغي القرن حين

النصف الثاني من القرن الثاني الهجري الثامن الملادي على يد جماعة من بربر شمال إفريقيا، دخلها الإسلام مبكرًا عن طريق القوافل التجارية، لتعرف تطورًا وازدهارًا مع مرور الوقت خاصة في عهد سلطان مالي منسي موسى الذي بنى فيها مسجدًا جامعًا سنة ٧٢٥هـ ١٣٢٥م، بعد عودته من رحلة الحج المشهورة ليستمر هذا المسجد في العطاء والإزدهار إلى أن صار جامعة إسلامية، اتخذها الصُنغيون عاصمة لإمارتهم – بعد كوكيا – منذ القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وظلت هكذا حتى زوال مملكة صنغي. (البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا،ج٢، ص ١٨١، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ، دار صابر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ج٤، ص ٣٠١، العمري: مسالك الأبصار، الباب العاشر، ص ٦٠، ابن بطوطة: تحفة الأنظار، ج٢، ص ٤٠٤، ٤٠٥، الوازن: وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار العربي الإسلامي، بيروت، ج٢، ط١، ١٩٨٣م، ص ١٦٩، كعت: تاريخ الفتاش، ص ٤٥، عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مجموعة ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، د.ت، ص ٤٧،٤٨، الهادي الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلي بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م، ص ٣٠٩، يحيي بو عزيز: تاريخ إفريقيا، ص ١٠٩،

Hunwick, J. The African Diaspora in the Mediterranean Lands of Islam (Princeton Series on the Middle East), by Eve Troutt Powell and John O. Hunwick, 2002,P.9.

Mauny, Raymond, Tableau Geographique de la oust Africain au mouyen- age, Mem de IFANB,No.61, DAKAR,1961, 112 – 113.

Rouch, J, “Contribution a L Histoire des Songhay”, Memoire de L I.F.A.N, N(29). P.172 .

[١] إقليم داندي: يقع جنوب شرق النيجر، ويعد الموطن الأصلي لهذا الشعب، ويحتوي على العاصمة التاريخية لمملكة صُنغي، وهي كوكو، وكذلك العاصمة السياسية وهي مدينة جاو، وكان هذا الإقليم نقطة تجمع وتمركز لقبائل صُنغي عامة. (السعيدي: ملوك السودان، ص ٣٣، إبراهيم طرخان: إمبراطورية صُنغي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨١م، المجلد الثامن ، ص٧.)

[٢] الطوارق: هم "مسوفة ينتسبون إلى قبيلة صنهاجة ونسبهم يرفع إلى حمير من بلاد اليمن"، وهم على دين الإسلام، واتباع السنة الشريفة، يعرف الطوارق عند العرب بملثمين الصحراء الكبرى ويتم توزيعهم الجغرافي من منطقة توات ومن... إلى ندر الواقعة على بعد ٣٠٠ ميل تقريبا غرب بحيرة تشاد، والطوارق عددا من القبائل التي تتكلم لغة واحدة تسمى لغة التماجغ.(السعيدي: ملوك السودان، ص ٢٥، أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط ١٩٧٩م، ص ١٦، كولين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٨م، ص ١٠٣.

اتخذت من مدينة كوكيا[١]، عاصمة لها[٢]، وحسب رواية السعيدي، تعد كوكيا أقدم العواصم المعروفة لمملكة صُنغي[٣]، إذ كانت تقع على بعد نحو مائة ميل جنوب جاو العاصمة[٤]، إلى أن انتهت بالغزو السعدي المغربي عليها عام (١٠٠٠هـ/ ١٥٩١م)[٥].

ثانيًا: مظاهر احتفاء الحكام بالعلماء و القضاة :

قبل سرد مظاهر الاحتفاء بالعلماء والقضاة، فقد كان العلماء قد بلغوا مكانة عالية في المجتمع ووضعوا أثارًا واضحةً في السودان الغربي عامة وفي مملكتَيّ مالي وصُنغي خاصة، فهم العارفون بأحكام الشرع وهم الذين يفتون بالشريعة، والمنظرون لسياسة الحكام في البلاد، وتوجيه هؤلاء الحكام[٦]، أما القضاة والقضاء في مملكتَيّ مالي وصُنغي تجدر الإشارة إلى أن القضاء قد عرف بارتباطه بالدين الإسلامي بل عد كأثر مباشر للحضارة العربية الإسلامية، فقد تطور القضاء من شكله البسيط في أواخر مملكة غانا (حيث كانت كومبي مركزًا للقاضي الوحيد في تلك الأثناء)، وبنشأة المدن التجارية والثقافية كتمبكتو وجنى فقد كثرت المساجد وإزداد عدد التجار العرب والمسلمين والفقهاء والدعاة وقد تواكب ذلك مع ازدياد عدد القضاة[٧].

ومن جهة أخرى، فقد عرف نظام التقاضي في مملكتَيّ مالي وصُنغي بمستوياته ودرجاته المختلفة، والمكون من محكمتين، الأولى: المحكمة الملكية التي يرأسها الملك وتختص في الفصل في الجرائم السياسية وجرائم الخيانة العظمى[٨]، والتي كان يتم انعقادها برئاسة الملك شخصيًا [٩]، والمحكمة الثانية وهي محكمة القاضي الذي يعينُه الملك، ومهمتها النظر فيما يقع من الجرائم العامة والمنازعات بين الأهالي أو الولاة وبعضهم البعض فكان يتم إعلان الحكم على الملأ بعد الفصل فيه من قبل القاضي إذا كان الحكم متصلًا بأحد أفراد

---

[١] كوكيا: تقع في جزيرة بنتيا في النيجر على بعد ٦٠ ميلًا جنوب مدينة جاو، وهي مدينة قديمة وترتفع على ضفاف نهر النيجر في بلاد صُنغي، وأقدم ما عرف عنها أنه في حوالي عام (٣٩٩هـ/٩١٢م) كانت تمثل عاصمة المملكة، وبذلك تعد أقدم العواصم المعروفة لمملكة صُنغي. (السعيدي: ملوك السودان، ص٤)

[٢] المصدر السابق: ص ٣ – ٨، حسين عبد الله مراد: مملكة صنعاي، مجلة قراءات، العدد الثالث عشر، يوليو ٢٠١٣م، ص ١٣ – ١٩، إبراهيم طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، العدد الثاني، ١٩٦٩م، ص ١٩.

[٣] ملوك السودان، ص ٣– ٨.

[٤] إبراهيم طرخان: إمبراطورية صُنغي الإسلامية، ص ٧.

[٥] المرجع السابق، ص ٨ – ٩، حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٤٦.

[٦] دينا أحمد عبدالجواد: دور القضاة والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي، ص١٢٥.

[٧] السعيدي: ملوك السودان ، ص ٣١٦.

[٨] يذكر أن منسي سليمان سلطان مالي قام بمحاكمة من اشتركوا في مؤامرة خلعه وبينهم زوجته الكبرى قاسا بنفسه وكان الحكم متناسبًا مع دور كل منهم في الخيانة طبقًا لإفادات ابن بطوطة وقد تصل الأحكام إلى درجة قاسية. (ابن بطوطة: تحفة النظار ، ج٤، ص ٤٢١.)

[٩] المصدر السابق، ج٤، ص ٤٢١.

الشعب وكانت العقوبة تتراوح ما بين السجن والجلد، وقد تصل إلى الإعدام أو مصادرة الأملاك حسب الجريمة[١]، أو الدفن حيًا، أو الطواف بالمجرم في أنحاء المدينة[٢]، وفضلًا عن وجود القاضي الذي كان يحكم بالشريعة الإسلامية، فقد كان هنالك القاضي الذى كان يفصل في قضايا الأجانب[٣]، فمع ظهور مملكة مالي، كان هنالك القاضي الأعلى بالعاصمة بينما كانت المدن الرئيسية الأخرى تختص بقضاتها، وكذلك الحال في مدينة جاو[٤].

أ- مظاهر الاحتفاء بالعلماءو القضاة في مملكة مالي:

كان للعلماء والدعاة والفقهاء الذين قدموا إلى المنطقة من شمال أفريقيا ومصر، مكانتهم لدى السلاطين والملوك في مالي، وعد ذلك انعكاسًا للدور الهام الذى قاموا به في نشر الإسلام والثقافة العربية في ربوع تلك المنطقة، حيث كان الكثير منهم من المقربين من الملوك والأمراء والذين عملوا في خدمتهم، وحببوا إليهم الدين الجديد أمثال الفقيه عبد الرحمن التميمي الذي عمل في خدمة مملكة مالي.[٥].

وكانت تلك المكانة التي حظى بها العلماء والفقهاء لدى حكام مالي وأفراد الأسرة الحاكمة والقادة من رجال المملكة وحكام الأقاليم[٦]، تعزى إلى كون هؤلاء الفقهاء من حفظة الدين وحملة الشريعة، ومن ثم فقد أصبحوا محل رعاية خاصة وتقدير من جانب الملوك والوجهاء والعامة على السواء[٧].

كما كان اعتناقهم للمذهب المالكي داعمًا لمنحهم احترامًا خاصًا حيث لعب هذا المذهب دورًا جوهريًا في تحديد الوضعية الاجتماعية[٨] إذ كان اعتناق المذهب والعمل على نشره والعمل بمقتضاه سبيلًا لنيل المناصب الدينية العليا وارتفاع المكانة الاجتماعية والسياسية لدى الحكام في مملكتَيّ مالي وصُنغي[٩].

كان لفئة المثقفين من العلماء والفقهاء والمعلمين في مملكة مالي الأثر البالغ في توجيه حركة المجتمع، فقد كانت إقامة معظمهم في المدن الكبرى ومراكز الثقافة الإسلامية التي نشأت وازدهرت في معظم حواضر

---

[١] نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ١٩٧٥، ص ١١٦ – ١١٧.

[٢] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٩١.

[٣] السعيدي: ملوك السودان، ص ٦٤.

[٤] انتا ديوب: أفريقيا السوداء ما قبل الاستعمار، د ن، السنغال،١٩٦٠م، ص ٣٨.

[٥] الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية والنشر، ص ٣٧.

[٦] ابن بطوطة: تحفة النظار ، ج٥، ص ٦٥٥.

[٧] السعيدي: ملوك السودان، ص ٧٦.

[٨] للدلالة على أهمية العلم والمذهب المالكي في ارتقاء الهرم الإجتماعي نورد نصًا مهمًا، عبارة عن وصية من أب لابنه يقول فيها: "العلم شيء حسن، فكن له ذا طلب، وابدأه بالنحو، وخذ من بعده في الأدب، فأن أردت أن ترى جاهًا ونيل مكتسب، فافهم أصول مالك، واحفظ فروع المذهب، فإن قول مالك سلسلة من ذهب، واعمل بما حفظته تحظى بأعلى الرتب" (ابن قنفد: أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي،١٩٦٥م، ص ١٠٧.)

[٩] المصدر السابق، ص ١٠٧.

مالي، لذا فقد حظيت تلك الفئة باحترام وتقدير ملوك مالي وحكام ورجال المملكة، الذين لم يكونوا يفرقون بين العالم السوداني والعالم الوافد، وقد تمثلت مظاهر ذلك الاحتفاء والاحتفال بهم في بذل الإقطاعات والعطايا لهم[١].

ومن مظاهر التكريم والاحتفاء بالعلماء أيضًا في مملكة مالي دعوة ملوك مالي وولاتها للعلماء والفقهاء للحضور والجلوس في مجالسهم الاعتيادية والخاصة وفي المناسبات الدينية للمشاركة فيها، وتشجيعهم على إبداء آرائهم الدينية في القضايا التي تُعرض في هذه المجالس[٢]، وكان لكل ملك ووالٍ عالم يصحبه ويؤمه في الصلاة، ويُقيم بالقرب منه، ويستنير برأيه في علاج المشكلات التي تعترضه[٣].

وخير دليل على مظاهر الاحتفاء وتكريم العلماء والفقهاء في مملكة مالي- ما عرف عن منسى موسى(٧٠٩-٧٤١هـ/١٣١٠-١٣٤٠م) - حبه لرجال العلم وتقريبهم منه، حيث أشار ابن بطوطة إلى إجزاله العطايا للعلماء وخاصة القادمين منهم من المغرب الأقصى، وكان من نتيجة ذلك أن بلغت الثقافة الإسلامية أوْجّها في عهده[٤]، كما كانت له علاقة متميزة مع الفقيه العالم أنفارقم، إذ كان يوقره ويحترمه كثيرًا، حيث كان هو الوحيد الذي يمكنه مصافحته يدًا بيد[٥].

كما عدت رفادة العلماء إلى المراكز العلمية والثقافية في تلك الآونة نوع من التكريم والاحتفاء بهم كما كان فعل منسى موسى مع العديد من العلماء حيث قام بإرسال كاتب موسى إلى فاس للأخذ عن علمائها، وعاد ليتولى منصب قاضي تمبكت، ثم الفقيه عبد الرحمن ذو الأصل السوداني الذى شغل منصب قاضي نياني العاصمة المالية زمن السلطان منسى سليمان، ثم الفقيه محمد الكابري الذي سكن تنبكت وتوفي بها، ثم العالم عبد العزيز التكروري في منتصف القرن التاسع الهجري[٦]، حيث استفاد منسى موسى آنذاك من علاقات المملكة مع المغرب الأقصى زمن المرينيين حيث هاجر عدد من الطلبة السودانيين إلى فاس للأخذ عن الفقهاء القرويين، وهو ما ساهم في اكتساب هؤلاء الطلبة للثقافة المالكية[٧]، وقد خلف منسى موسى بعد موته ابنه ثم أخيه منسى سليمان اللذين سارَا على نفس الدرب حيث قرَّبا العلماء وأجزلَا لهم العطايا، وجلبَا الفقهاء المالكية وشيَّدَا المساجد والكتاتيب[٨].

---

[١] التمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج٢، ص ٨٨.

[٢] ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٥، ص٦٩٢، ٦٩٦.

[٣] النباهي: تاريخ قضاة الأندلس، دار الكاتب المصرى، القاهرة، ١٩٤٨، ص١٦٨، ١٦٩.

[٤] جميلة محمد التكيتك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير ١٤٩٣ – ١٥٢٨، دار الكتب الوطنية، ط١، ليبيا، ١٩٩٨م، ص ٣٨.

[٥] ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٥، ص ٦٧٧.

[٦] أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص ٢١٩-٢٢١.

[٧]المرجع السابق، ص ٢١٢.

[٨] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي، ص ٦٤.

وكنوع من الاحتفاء والتكريم، فقد اتخذت فئة العلماء في مملكة مالي ألقاب متعددة لم تكن تطلق على من سواهم، فقد عرفت باسم المدرسين، وتارة بالفقهاء، وتارة أخرى بالمتفننين، وتارة بالمحدثين والحفاظ والمشائخ، والتي كانت تعني من بين ما تعنيه وصول العالم إلى مرتبة كبرى من العلم، وكانت ذات مدلول كبير[١]، خاصة عندما كانت تقترن بكلمة الإسلام، لتصبح شيخ الإسلام[٢]، كما كان عرف لقب ألفا، أو الفع[٣](اختصار للكلمة العربية "الفاهم" أو "الفقيه")، والذى كان يلقب به رجال العلم والأدب والمتعلمون عامة في السودان الغربي، كما عرف لقب "قوني" كأحد ألقاب العلماء، والذى كان يلقب به كل من حفظ القرآن وأجاده وكتبه من أوله إلى آخره عن ظهر قلب، كما عرف كذلك لقب سيدي أو سيدنا أو السيد الذي أطلق على أصحاب الكرامات والمتصوفة في عباداتهم من أمثال سيدي محمد البكري، سيدي أحمد البكاي، سيدي عبد الله البلبالي[٤].

عرفت الطبقة الحاكمة في مملكتَيّ مالي وصُنغي بتكوينها من أفراد الأسرة الحاكمة والحاشية وقادة الجند ورجال المملكة وحكام الأقاليم، وفقهاء السلطة والأعيان، ويأتى على قمة هذه الطبقة بلاط المملكة الذي كان مليئًا بالفقهاء والعلماء والقضاة[٥]، ومن ثم، فقد حظي منصب القاضي والقضاة – الذى كان يطلق عليه لقب "بانفارفم"– في مملكة مالي حظَى بنوع من الاحترام والتبجيل والرفعة والمكانة المرموقة، لدى السلطان وسائر الولاة والقادة وكذلك على المستوى الشعبي العام في مملكتَيّ مالي وصُنغي، ولم لا وقد كان لزامًا توافر عدة شروط فيمن يتولى ذلك المنصب الهام[٦]، في مقدمتها العلم والنزاهة والورع[٧]، ولم يكن أحد ليتسلم منصب القضاء إن لم يكن أهلًا لهذا المنصب خوفًا من غضب الله[١]، فضلًا

---

[١] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ، ص ٥١١ – ٥١٣.

[٢] من بين الذين حملوا هذا اللقب محمود بن عمر أقيت، ومحمد البكري وعثمان بن فودي (المرجع السابق، ص ٥١١ – ٥١٢ – ٥١٣.)

[٣] يعد القاضي محمود كعت الذي كان يسمى "الفع محمود كعت" من أشهر من حمل لقب "الفع"، وممن حصل على لقب ألفا الشيخ محمد بن أحمد الشهير بألفا هاشم صاحب كتاب "تعريف العشائر والخلان بشعوب وقبائل الفلان". (محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١١١ – ١١٦، مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام، ص ٥١٥.)

[٤] إبراهيم طرخان: دولة البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م ، ص ١٨٣.

[٥] كان من أبرز هؤلاء الفقيه أبو عباس الدكالي الذي كان معاصرًا لمنسا موسى وكان يتولى خطة القضاء والذى كان يتمتع بمقام واحترام كبيرين وقد لقب بالدكالى نسبة إلى مدينة دكالة وهي: "تعرف كذلك باسم "يمويمن" وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط. (الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. حسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط ١٩٧٥، ص ٦١٩.)

[٦] لم يكن يشترط توافر شرط العلم في بادئ الأمر، إذ كان القضاة من العرب، ولما كثر المثقفون الذين تعلموا في فاس والقاهرة، عمل قسم منهم في القضاء وفي الخطابة وإمامة المساجد.(نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، ص١١٦.)

[٧] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٣٥.

عن المكانة الاجتماعية بما يمتلكونه من ثروات طائلة وجاه ونفوذ لدى الطبقة الحاكمة[٢]، مما حفظ لهم مكانتهم المميزة لدى الطبقة الحاكمة، ومنزلة كبيرة لدى حكام مالي وصُنغى حيث كانوا من المقربين إليهم[٣]، فقد كان الاحتفاء بالقضاة وتكريمهم ضمن أولويات الحكام والسلاطين وحكام الأقاليم في مملكتَيّ مالي وصُنغي، وكان أحد مظاهر ذلك الاحتفاء، أن دخولهم للمدن كان يأخذ الطابع الرسمي من قبل الحكام كما هو الحال بالنسبة لاستقبال السلاطين والأمراء[٤].

ولعل المكانة التي كان يتمتع بها القاضي لدى السلاطين وسائر الولاة والقادة وكذلك على المستوى الشعبي العام قد أضفت عليه جانبًا من الاحترام والتقدير، ومن مظاهر ذلك الاحترام والتقدير والاحتفاء، القيام بمصافحة الملك وتصدر الحاضرين في المناسبات والأعياد الدينية، والمصداقية لدى السلطان فيما يقوله أو يصدر عنه[٥].

ومما يدلل على ذلك، تلك الواقعة التي رويت وغيرها لتوضح جانبًا من جوانب تحقيق العدل عندما أتى أحد التجار من مدينة ولاتة شاكيًا للسلطان منسا سليمان من ظلم لحق به من والي المدينة الذي أخذ منه مبلغ ستمائة مثقال وأراد أن يرد له مائة فقط، فما كان من السلطان إلا أن أرسل قاضيًا إلى واليه وأخذ حق التاجر وعزل الوالي[٦].

وقد جرى العرف في مملكة مالي أنه – على حسب تقرب القاضي من السلطة الحاكمة وولائه وعلمه– اعتلائه لمنصب المستشار الأول للسلطان وقد كان هذا للمنصب مؤهلًا لأن يكون بمثابة لقاضي الأعلى الذى يقطن بالعاصمة، بخلاف بقية القضاة الذين يقطنون خارج العاصمة[٧].

وهنالك من الدلائل ما يشير الى التشابه الكبير ما بين ذلك النظام وما كان معمولًا به في مصر[٨] آنذاك، إذ كانت مهمة القاضي الفصل في المنازعات التي قد تقع بين أفراد الشعب وبين ولاة الأقاليم[١] أنفسهم حين

---

[١] نعيم قداح: أفريقيا الغربية، ص ١١٦.

[٢] الحاج مرحبا: فتح الحنان المنان بأخبار السودان، معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي النيجر، رقم ١٠٨، ص ٢٣.

[٣] ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٥، ص ٦٥٥.

[٤] التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج٢، ص٢٣و ٨٨.

[٥] ابن بطوطة: تحفة النظار، ص ٦٨٦، محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٣٥.

[٦] ابن بطوطة: تحفة النظار،ج٥، ص ٦٨٨، فاي منصور علي: دولة مالي في عصرها الذهبي على عهد السلطان منسا موسى ٧١٢ / ٧٣٨هـ / ١٣١٢ / ١٣٣٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، كلية اللغة العربية، ١٩٨٤م، ص ١٢٩.

[٧] إبراهيم طرخان: دولة البرنو الإسلامية، ص ١٣١.

[٨] ولعل مردَّ ذلك راجع إلى رحلة السلطان منسا موسى التي زار فيها القاهرة إبان رحلته للحج، إذ اصطحب معه عند عودته لبلاده عددًا من الفقهاء المصريين. (إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٣١.)

تقع بينهم المناوشات والخلافات في الأمور العامة[٢]، وهذا يوضح المكانة التي كان يتمتع بها القاضي في مملكة مالي من صلاحيات في فض المنازعات، كما كانت دعوة ملوك مالي وولاتها للقضاة لحضور مجالسهم الاعتيادية والخاصة وحضور المناسبات الدينية والمشاركة فيها، وتشجيعهم على إبداء آرائهم الدينية في القضايا التي تُعرض في هذه المجالس[٣]، كان ذلك أحد مظاهر التكريم والاحتفاء بالعلماءالسائدة في مملكة مالي، ويأتى إعفاء القضاة من الضرائب باعتبار أنهم من الأسر الشريفة التي يمنح لها مظاهر التوقير والاحترام والتقدير[٤] كمظهر من مظاهر احتفاء السلاطين والحكام بالقضاة في مملكة مالي.

ب- مظاهر الاحتفاء بالعلماء والقضاة في مملكة صُنغى:

حظيت فئة العلماء والقضاة في مملكة صُنغي بقدر كبير من التعظيم والاحتفاء والإجلال حيث تبوأت مكانتها ضمن طبقة الخاصة، ولم لا، فهم العارفين بالأحكام الفقهية[٥]، وهم الذين يفتون بشرعية توجهات الملوك والأساكي، فقد كان أحد أهم مظاهر إجلالهم وتقديرهم من قبل حكام صُنغي اصطحاب السلاطين والحكام لهم على رأس المودعين والمستقبلين لوفود الحجيج عند عودتهم[٦].

وقد عرف عن حكام صُنغى من الأساكي جهودهم الحثيثة في جلب العلماء والاعتناء بهم، خاصة بعدما ساد الإسلام وانتشر، فقد عمل الأسكيا محمد إِثْر حجته الشهيرة (٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) علي ترسيخ نفوذه بالسودان الغربي، بالتقرُّب من العلماء، والإنصات لهم، والأخذ بمشورتهم، وإجزال العطايا لهم[٧]، لتأثيرهم في الرعية، مستفيدًا من أخطاء سلفه سني علي، الذي نكَّل بالعلماء فألَّبُوا ضده الرعية[١].

---

[١] وفي هذا الصدد ذكر ابن بطوطة عند زيارته إلى (تكدا) إحدى مقاطعات مملكة مالي الإسلامية قائلًا: "وفي أيام إقامتي بها توجه القاضي أبو إبراهيم والخطيب محمد، والمدرس أبو حفص والشيخ سعيد بن علي إلى سلطان (تكدا) وهو بربري يسمى (ازار) وكان على مسيرة يوم منها، وقعت بينه وبين التكريري، وهو من سلاطين البربر أيضًا، منازعة فذهبوا إليه للإصلاح بينهما).(ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٥، ص ٦٩٨).

[٢] إبراهيم طرخان: دولة مالي الإسلامية ، ص ١٣١.

[٣] ابن بطوطة: تحفة النظار، ص٦٩٢، ٦٩٦.

[٤] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨، ١٩.

[٥] ومن ذلك ما حدث مع الفقيه محمود كعت عندما خرج مع الأسكيا داوود لاستقبال الحجيج وتقديم الهدايا لهم بعد عودتهم من رحلة الحج، وقام الأسكيا داوود بنفسه تعظيمًا لهم وقبل أيديهم، وأقبل على رجل من عبيده يقبل يده وهو لا يعرفه، فأشار له أحد رجال الدولة بأنه من العبيد، وثار الأسكيا، وهناك من حلف بقطع يد هذا العبد لتجرئه على مصافحة الأسكيا، وهنا سأل الأسكيا داوود الفقيه محمود كعت الذي أشار عليه بتقدير هذا العبد لأدائه فريضة الحج واستجاب هذا الأسكيا وقال للقاضي محمود كعت: "ولولا العلماء لكنا من الهالكين فجزآك الله عنا خيرًا" (المصدر السابق، ص١١٢، ١١٣.)

[٦] المصدر السابق، ص ١١١-١١٣.

[٧] فلا غرو أن يمدح العلماء الأسكيا محمد، فقد أدلى محمود كعت بشهادة في حقه بقوله: ".. وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين، ما لا يحصى ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده، وحب العلماء والصالحين" وفى مقابل ذلك، فقد لاقت انتصارات وأعمال الأسكيا محمد الكبير نصيبًا من الثناء من العلماء المسلمين، فهذا محمود

وعلى الجانب الأخر، فقد أدى سوء معاملة الحاكم لأهل العلم والعلماء في مملكة صُنغي في عهد حكم أسرة سني علي وابتعاده عنهم وعدم تقريبه لهم، أدى ذلك إلى عدم استمرار حكم أسرة سني علي طويلًا ومواجهته بمعارضة علماء تمبكت نظرًا لقسوته وسوء معاملته لهم، مما عجَّل بسقوط حكم الأسرة وانتقاله إلى أسرة الأساكي، حيث انتقل العرش إلى الإبن الأكبر لسني علي أبو بكر داعو، الذى تم الانقلاب عليه من قبل محمد توري الذى وجد الدعم لما قام به من علماء تمبكت الذين وجدوا ضالتهم معه وتحت حكمه والذين كانوا على خلاف مع حكم أسرة سني علي، الذي قرَّب العلماء وأجزل لهم العطايا، لذا فقد وجدوا ضالتهم في العهد الجديد، وخلقوا لأنفسهم مكانة واحترامًا لدى السلطة الجديدة[٢].

وقد شهد عهد الأساكى بوجود عدد كبير من الفقهاء الذين كان مشهودًا لهم بالعلم والفهم والحضور الدائم لمجالس العلم.[٣]

وقد اتضحت معالم ذلك التكريم والاحتفاء من خلال الإحسان إليهم وإجزال العطاء والعطايا لهم وإجلاسهم على سريره إذا دخلوا عليه، وتناول طعامه معهم هم وأولادهم، وأمره للعامة بالوقوف لهم إجلالًا لشأنهم[٤]، وقد جعل ذلك قاعدة لمن أتوا من بعده[٥]، من الأساكي وقد تجلى ذلك من خلال وصاياه التي أكدت على وجوب تعظيمهم، فضلًا عما حازوه من هبات جعلت ابن خلدون يخلص إلى القول بأن " لحملة العلم بمملكتهم مكان من الوجاهة"[٦] وليس أدل على مظاهر التكريم تلك والاحتفاء بتلك الفئة من العلماء والقضاة باعتبار ومن ثم التصرف مع العائلات التي انتسب إليها فقهاء المالكية ضمن طبقة الخاصة، حيث العيشة الرغدة، والتمتع بالمزايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والإمتيازات الكبيرة التي كان يتم التحصل عليها من الحكام[٧]، فضلًا عن اكتساب هذه العائلات مكانة اجتماعية مرموقة بفضل توارث أفرادها المناصب

كعت صاحب كتاب الفتاش يقول عن منجزاته ما نصه: ".. ومنَّ الله علينا بأن أظهر لنا في زماننا هذا الإمام الصالح الخليفة العادل والسلطان الغالب والمنصور القائم أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر التوردي... فانفسح له بحمد الله البلدان شرقًا وغربًا، وتداعت له الوفود فردًا وجمعًا، فأذعنت له الملوك كرهًا وطوعًا، فصرنا من بركاته بخير ونعمى...".(محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٦٠، ص ١٠-١١).

[١] المصدر السابق، ص ٦٠.

[٢] جميلة محمد التكتيك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير ١٤٩٣ – ١٥٢٨، ص ٤٩.

[٣] سوزي أباظة محمد: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م، مجلة المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ع٢٨، ٢٠٠٥م، ص ٣٥٤.

[٤] كرم الصاوي باز: البيت والعائلة السنغائية زمن الأسكيين (٨٩٩ – ١٠٠٠هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١م)، بحث منشور ضمن ندوة" المجتمعات الأفريقية، تطورها التاريخى ودورها الحضارى حتى مطلع القرن الحادى والعشرين"، ١٨-١٩ مايو ٢٠٠٥، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ١٦.

[٥] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٧٢، ٧٣.

[٦] العبر ، ج١، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

[٧] المصدر السابق، ج١، ص ١٠٦، ١٠٧.

والوظائف الدينية والقضائية الرفيعة في جهاز المملكة لا سيما منصب القضاء خاصة في عهد مملكة صُنغي[١].

وقد سار على نفس الدرب الأسكيا داوود(٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٥٩-١٥٩٢م)[٢]، الذى أبدى اهتمامه واحتفائه بالعلم والعلماء طيلة مدة حكمه، حيث كان شديد التعظيم والاحتفاء والإجلال للقضاة فكان "يقربهم منه ويكرمهم" وتتضح مظاهر ذلك الاحتفاء في استقباله القاضي محمود كعت حينما قدم إلى جاو، حيث أكرمه كرمًا يليق بالعلماء[٣]، كما كان عطاؤه للقاضي المالكي العاقب المتوفي عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) بلا حدود حيث أعطاه مائة مثقال من الذهب وطلب منه أن يقسمها بينه وبين أهله وذريته[٤].

وكذا الحال في عهد الأسكيا إسحاق الثاني (٩٩٨-١٠٠٠هـ/١٥٨٨-١٥٩١م) وانتهاء مملكة صُنغي التي بلغت أوجها وأقصى امتدادها في عهد أسرة الأساكي قائمة على أكتاف العلماء والفقهاء[٥].

وكنوع من الاحتفاء والتكريم، فقد أسند إلى العديد من الفقهاء مناصب رفيعة، على رأسها القضاء، والفتوى، والتدريس، والإمامة، والخطابة، وغيرها من المناصب[٦] فضلًا عن تقلد المناصب السياسية كمعاونين ومستشارين للحكام الذين كانوا يطلبون من بعضهم المشورة وإبداء الرأي في العديد من الأمور فقد كان الأسكيا محمد يستشير العالم محمد بن عبدالكريم المغيلي، والأسكيا داود الذى كان يستشير القاضي محمود كعت في كثير من الأمور[٧].

كما حظيت فئة الفقهاء والعلماء في مملكة صُنغي بنوع من الحفاوة والتكريم الإجتماعي، وقد اتضح ذلك من خلال الاحتفالات التي كان يحضرها الأساكي والأعيان والأهالي في المناسبات الاجتماعية الخاصة بهم[٨]

---

[١] المصدر السابق، ج١، ص ٧٢، ٧٣.

[٢] يعتبر الأسكيا داوود أخر أبناء الأسكيا محمد الكبير الذين تولوا حكم صُنغي تولى عرش صُنغي خلال الفترة (٩٥٦ – ٩٩٠هـ / ١٥٥٩ – ١٥٩٢م)، حيث ظل ملكًا لمدة ثلاثة وثلاثين عامًا، وكان من أبرز السلاطين الذين حموا المملكة، وقد اشتهر بحنكته السياسية، ولم يتوقف عن الحرب سنة واحدة خلال الفترة التى حكم فيها البلاد.(عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣-١٥٩١م، ص٣٣.)

[٣] الحاج مرحبا: فتح الحنان المنان بجمع تاريخ السودان، ص ٢٣.

[٤] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٠٦، ١٠٧.

[٥]محمد موسى البر: مجلدات الاسلام في أفريقيا، الاسلام والمسلمين في أفريقيا، دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة، الخرطوم، الكتاب الحادي عشر، ٢٠٠٦م، ص ٣٤٥.

[٦] السعيدي: ملوك السودان، ص ٥١.

[٧] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٩٧، السعيدي: ملوك السودان، ص ٢٨.

[٨] يذكر أنه عندما رزق القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بابنه محمد أهدي له أسكيا ألف مثقال من ذهب (المصدر السابق، ص ٣٤.)

من أفراح ومولد الأبناء والمآتم[١]، فضلًا عن تخصيص عدد من الخدم والعبيد لخدمتهم ومن ينوبون عنهم فى تصريف شؤونهم الخاصة[٢].

ومن مظاهر التكريم والاحتفاء بالعلماء والفقهاء التي كانت سائدة في مملكة صُنغي – خاصة مع بداية حكم أسرة الأساكي– قيام الحكام والأمراء وأغنياء المسلمين بإقامة المجالس العلمية الخاصة بصفة دورية، ودعوة كبار العلماء والأدباء والشعراء والمربين إليها، تلك المجالس التى كان يحضرها كبار المسؤولين في المملكة وكبار العلماء الزائرين من البلاد المجاورة ومن بلاد المغرب العربي، فقد كان حكام الأساكي أنفسهم علماء وأدباء، شاركوا أبناء بلادهم في التعلم على أيدى كبار علماء بلادهم وغيرهم من الوافدين إلى البلاد، وكان معظم أبناء حكام غاو والأمراء في الأقاليم التابعة لها يواصلون تحصيل دراساتهم العلمية في المراكز الثقافية الكبرى للمملكة مثل تمبكتو، وجنى، وغاو، بعد إنهائهم لمرحلة التعليم الأولى في المدارس المحلية التي كانت منتشرة آنذاك، مما خلق منهم مثقفين وأدباء، فكان أسكيا محمد من أنشط الحكام في هذا الميدان ومن ثم أبناؤه الذين حكموا البلاد من بعده، وأبرزهم أسكيا داود الذي اشتهر بحبه للعلم والعلماء[٣].

ونتيجة لما أبداه الحكام والأساكي في مملكة صُنغي من احتفاء وتكريم وتقدير للعلماء والفقهاء زمن حكمهم، فقد أدى ذلك إلى نبوغ العديد من العلماء والمفكرين[٤] وازدهار الحياة الفكرية، وإشاعة العلم في القرى والأمصار في المملكة[٥]، إذ شهدت الحركة العلمية والثقافية في صُنغي منذ القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن الهجري[٦] العديد من الرحلات العلمية إلى مختلف عواصم العالم الإسلامي، وإلى المراكز والمؤسسات العلمية الكبرى في المشرق والمغرب الإسلامي، وقد تعددت تلك الرحلات وتنوعت. والتي كان على أثرها قيام علماء ومشاهير الفقهاء والدعاة القادمين إلى صُنغي بالمساهمة في إثراء الحركة العلمية في السودان

---

[١] المصدر السابق، ص ٣٤.

[٢] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٧٢، ١٧٣.

[٣]محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٩٤ و١٠٨ – ١١٤.

[٤] من هؤلاء محمود كعت صاحب تاريخ الفتاش، والسعيدي صاحب كتاب تاريخ السودان، ثم أحمد بابا الذي أسهمت كتب التراجم في التعريف بسيرته ومكانته وذكر مستواه الفكري والتعليمي وأهم أساتذته وتلامذته، إلى جانب مؤلفاته العلمية ومنها تلك التي ألَّفها إبَّان إقامته بمراكش خلال العهد السعدي، وغيره من العلماء. (ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم جغرافيين ومؤرخين ورحالة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣١٨، محمد عبدو زبير: السيرة الذاتية لأحمد بابا التمبكتي، (١٥٥٦– ١٦٢٧)، مجلة أحمد بابا التمبكتي، بحوث الندوة التي عقدتها منظمة إسيسكو بمناسبة أربعة قرون على ولادته، مراكش ٢٢– ٢٥ صفر ١٤١٢هـ/ ٢–٥ شتنبر ١٩٩١م، ص ٧٢–٧٣.)

[٥] ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي، ص ٣١٨.

[٦] كان لمملكة مل صلة قوية بمصر في أيام الممالك الشراكسة، وكان للتكرور جالية كبيرة في مصر منذ العهد الفاطمي، وكذلك في عهد الممالك البحرية ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م، وخصص في الأزهر في أروقه لأهالي بلاد التكرور، عرف المكان باسمهم. إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الاسلامية، ص ١٥١.

الغربي[١]، وتلك إشارة الى أن التواصل الفكري ما بين صُنغي وغيرها من البلدان المجاورة والمشرق والمغرب الإسلامي كان قائمًا على أكتاف هؤلاء العلماء[٢] بدعم من حكام صنغي[٣]، أما القضاة والقضاء فقد سعي الأساكي منذ البداية إلي تعيين القضاة وتطبيق القضاء، وذلك في كل مدينة قاضٍ[٤]، كما حظى القضاة في مملكة صُنغي بنوع من الحفاوة والتكريم الإجتماعي، وقد اتضح ذلك من خلال الاحتفالات التي كان يحضرها الأساكي والأعيان ومن خلفهم الأهالي في المناسبات الاجتماعية الخاصة بالقضاة[٥] من أفراح ومولد الأبناء والمآتم، فضلًا عن تخصيص الخدم والعبيد لخدمتهم، والقائمين بأعمالهم ممن ينوبون عنهم في بعض المهام التي توكل إليهم[٦].

ثانيًا: مظاهر احتفاء العامة بالعلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي:

عُرفت طبقة العامة بتكوينها المميز من عدة شرائح إجتماعية متنوعة إذ شملت الحرفيين والصناع والمزارعين والرعاة والصيادين، بالإضافة إلى العبيد والأقنان[٧] وإذا كان المفهوم السائد بأن الفقهاء كانوا هم اليد التي تستعملها السلطة الحاكمة في إرساء مفاهيم القضاء والقدر وإصباغ الشرعية على الحاكم وطاعة أولى الأمر، لكن حقيقة الأمر أن الفقهاء كانوا شريحة إجتماعية على امتداد مجتمع السودان الغربي كله، يتفاعلون مع بقية أفراد المجتمع، ومن ثم فقد احتلوا مكانة خاصة لدى طبقة العامة في مملكتَيّ مالي وصُنغي[٨] ويرجع

---

[١] السعيدي: ملوك السودان، ص ٢١ – ٤٥.

[٢] قام العديد من العلماء الأجلاء بالترحال إلى صُنغي بمختلف أقاليمها للتدريس في مساجدها وكتاتيبها المختلفة، مثل الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي ت ٩٠٩هـ، والإمام جلال الدين السيوطي ١٤٤٥ – ١٥٠٥م، والشيخ عبد الرحمن سوجين ٨٧٣ – ٩٥٦هـ، والفقيه مخلوف ابن علي بن صالح البلبالي ت ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م، والعالم إبراهيم بن عبد الجبار الودغيري الفجيجي ت ٩٥٨هـ، والعلامة الشيخ رمضان بن أحمد، وكذلك ابن سعيد الدكالي. (المراكشي: الإعلام بمن حل بمراكش من الإعلام، ط١، المطبعة الجديدة بطالعة فاس، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م، ج٤، ص ١٢٧، الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي، ص ١٨٤ – ١٨٥، ١٩١، ٢٤٣، محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت،١٩٨٢م، ص ٥١٤.)

[٣] نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص ١٤٠، عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين ١٤٩٣–١٥٩١م، ص ١٤٦.

[٤] سوزي أباظة محمد: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي، ص٣٥١.

[٥] يذكر أنه عندما رزق القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت بابنه محمد أهدي له أسكيا ألف مثقال من ذهب (السعيدى: ملوك السودان، ص ٣٤.)

[٦] كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٧٢، ١٧٣.

[٧] محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار الثقافة الجديدة، تونس، ١٩٧٨م، ج١، ص ٢٠٦.

[٨] ومن هؤلاء الفقهاء الفقيه الزاهد أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي توفي عام (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) والذي كان خيرا صيتا وورعا زاهدًا تقيا أواها وليا مباركا، معروف الصلاح ظاهر الزهد والورع متين الدين كثير الصدقة والعطاء، كما كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن موسى عريان الرأس المتوفي عام (١٠٢٠هـ /١٦١١م) زاهدًا سخيًا أخرج من ماله كله صدقه لله على الفقراء والمساكين وكذلك قام بشراء كثير من العبيد وأعتقهم لوجه الله تعالى، وتحدثت المصادر عن الفقيه محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي المتوفي عام (١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م)، وكذلك

ذلك لكثرة عطاياهم للفقراء والتقرب منهم، وتبنى مشكلاتهم لدى أبواب السلاطين، والتشفع لديهم والسعي في حوائجهم والإصلاح فيما بينهم[١]، وقد أدى ذلك إلى تعلق العامة بالفقهاء لما رأوه منهم من اهتمام بهم في محنهم، وإقدامهم على فعل أعمال البر والخير لاسعادهم، وحث طبقة الخاصة والأغنياء على التصدق ومنح العطايا والهبات لهؤلاء العامة[٢] بل وحثهم للأسر الحاكمة على الاهتمام بهم[٣].

ذلك الاجلال والاحتفاء الذى تمثل في اتخاذ بيوتهم حرمًا يلجأ إليه المستجيرون من بطش السلطان[٤]، أي أن بيوت هؤلاء الفقهاء كانت ملجأ للعامة من بطش الحكام، فكانوا يفرون إلى دار الفقيه (القاضي أو الإمام) إذا تعرضوا لخطر، وقد يلجأ إليه أحيانًا المعارضين للحكام خوفًا من بطشهم[٥]، إذ كان بيت القاضي محرمًا كالمسجد، يلتجئ إليه أحيانًا من يعارضون الحكام خوفًا، وكان القاضي يجيرهم[٦]، وهذه الحالة ومثلها كانت بمثابة قاعدة قانونية لا يجوز للسلطان تعديها[٧] أو للفقيه أن يردها ولكن كان من واجبه الشرعي إرشاد الحاكم إلى طريق الصواب الذي يتلاءم مع ما تمليه عليه الشريعة الإسلامية[٨].

أ- مظاهر احتفاءالعامة بالعلماء والقضاة فى مملكة مالى:

وإضافة لما كان يمثله الفقهاء والعلماء كفئة لها اعتبارها بين أفراد الطبقة الخاصة من حيث الثراء والسلطة[٩]، فقد أهلت بعض الفقهاء ثرواتهم المادية والعلمية لتصدر قمة الهرم الإجتماعي، مثلمَا كان الحال

الفقيه صالح بن محمد أند عمر المعروف (بصالح تكن) المستحرم عند السلاطين والذي كان يتشفع عندهم للمساكين ولا ترد له شفاعة.(المرجع السابق، ج١، ص ٣٦ -٤١، ٥٢-٥٦)

[١] المرجع السابق، ج١، ٤٤، ٤٦.

[٢] أشارت المصادر أنه عندما حدثت مجاعة وكان ضحيتها الكثير من العامة (الفقراء والمساكين) قام الفقيه محمود بن أبي بكر الونكري التنبكتي (٩٣٠-١٠٠٢هـ/١٥٢٣-١٥٩٣م) بجمع التبرعات من الموسرين في مدرسة الفقيه القاضي مؤدب محمد الكابري لتوزيعها على هؤلاء الفقراء والمساكين عند باب سنكري.(ابن بطوطة: تحفة النظار،ج٥، ص ٦٧٢)

[٣] ذكر أن القاضي العاقب بن محمود كان يأخذ من الأسكيا داود كل عام أربعة آلاف صينية ليقسمها على فقراء المدينة والمساكين.(محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص١١٥.)

[٤] ومما يدل على ارتفاع مكانة الفقهاء لدى حكام مالي ما حدث في بلاط منسا سليمان، حين قامت زوجته (قسا) بالتآمر عليه مع ابن عمه، وبعد اكتشاف أمرهما عزم منسا سليمان على معاقبتها، فهربت تلك الزوجة إلى دار الخطيب بعد عدم تمكنها من دخول المسجد، فلم يلحق بها أي أذى بسبب دخولها دار الخطيب، وفى هذا دلالة على ارتفاع مكانة هؤلاء الفقهاء.(ابن بطوطة: تحفة النظار،ج٥، ص ٦٧٧.)

[٥] نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص ١١٦.

[٦] ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٤، ص ٤٢٣.

[٧] الوزان: وصف إفريقيا، ج٢، ص ٨٧.

[٨] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص٩٧، السعيدي: ملوك السودان، ص ٢٨.

[٩] المصدر السابق، ص١٧٢، ١٧٣.

بالنسبة لعائلة أقيت التي نهض بها علمها حتى صارت من أعلام البلاد وأبرزهم مكانة، وتقلد أبناؤها بعلمهم أرفع المناصب في المملكة[١]، حيث استغلوا مكانتهم لرعاية شؤون العامة والدفاع عنهم والشفاعة لهم [٢].

ومن مظاهر التكريم واحتفاء العامة بالفقهاء والعلماء وأهل الصلاح أيضًا يأتي اكتساب المكان الذي يقيمون فيه حرمة وقدسية لا تقل عن القدسية التي كانت تحاط بها أماكن الصلاة، ويتضح من ذلك مدى مكانة الفقهاء والقضاة التي كانت محل تقدير وإجلال من قبل جميع عناصر مملكة مالي[٣].

ولم يقتصر أمر التكريم والاحتفاء بالعلماء على المشاهير منهم، بل كان الاحتفاء بكل من يتصدى لأمر العلم والتعليم، فقد انعكس حب الأفريقيين للإسلام وتعاليمه وإقبالهم على تعلمه على حبهم للعلم وإكرامهم للمعلم، فكان احترامه من الجميع ممثلًا في جزل العطاء له من قبل السلطات الحاكمة ممثلة في الأوقاف أو من آباء الطلاب[٤].

وقد كان للكرامات المنسوبة لعدد كبير من الفقهاء والعلماء في مجتمع مملكة مالي أثر عميق في قلوب الخاصة والعامة على السواء، مما زاد من تقديرهم وإجلالهم لدى أهل هذه البلاد، وقد كان لذلك صداه في الكتابات التاريخية[٥]، إلى غير ذلك من كتب المصادر التي بينت مكانة الفقهاء والعلماء.

تعددت الشواهد في مملكة مالي على احتفاء العامة بالعلماء والقضاة ، وكانوا يشاركون في الاحتفال بحفظة القرآن الكريم، وقد كان الاحتفال بحفظة القرآن مهمًا لدى المجتمع حكامًا وعامةً، فقد حرص العلماء والقضاة علي حضور تلك الاحتفالات، ومن بين العادات والتقاليد التي كان يمجدها الماليون اقتداء بمن سبقهم الى ذلك، الاحتفاء والاحتفال بحفظ القرآن الكريم حيث كان تشجيع وحث – بل والدفع بأبنائهم– إلى حفظ القرآن الكريم والإلمام بمبادىء الإسلام الأساسية في مقدمة اهتماماتهم بما يشير إلى أنه كان لهم شأن عظيم مع حفظ القرآن الكريم حيث كانوا يحرصون عليه أشد الحرص ويحملون صغارهم على حفظه كاملًا، إذ كانوا يضعون في أرجلهم القيود إن قصروا في ذلك، يستوي في ذلك أبناء الأمراء والعامة[٦].

---

[١] المصدر السابق، ص ٣٠٨.

[٢] وخير دليل على ذلك الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت الذي عرف برقه القلب كما كان عظيم الجاه وافر الحرمة عند الملوك والناس كافة نافعا لهم بجاهه لا ترد له شفاعة، كما عرف بإنصافه للناس جميعًا دون تميز (المصدر السابق، ص ٤٢.)

[٣] العمري: مسالك الابصار، ج ١٠، ص ٥٩ – ٦٠، الوزان: وصف افريقيا، ص ٨٧.

[٤] إنتا ديوب: أفريقيا السوداء، ص ٤٨.

[٥] ورد في كتاب أحمد بابا (تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء) عن بعض خصائص هؤلاء العلماء وما تمتعوا به من مكانة حيث قال: "..... هذا جزء قصدتُ فيه إلى ذكر ما ورد من فضل العلماء والأخيار من الآيات والأخبار التي روتها الأئمة الأبرار، بما خصوا به من أنواع الإكرام، ومزيد الاعتبار، على جميع الخلق في كل الإعصار ليكون تنبيها لمن جهل جليل ما لهم من عظيم المقدار ليوفيهم ويجلعهم وسيلة لربه في المهمات الكبار....." (التنبكتي: تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق: سعيد سامي، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، نصوص ووثائق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ص ١٣.)

[٦] ابن بطوطة: تحفة النظار،ج٤، ٤٢٧.

وقد عُرف عن أهل مالي حرصهم على الكثير من العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية، لكن يأتى على رأس تلك العادات والتقاليد مظاهر التكريم والاحتفاء بحفظ أبنائهم للقرآن كاملًا أو أجزاءً منه، حيث كانت تلك الطقوس الاحتفالية تتخلل فترة حفظ الصبي للقرآن بقصد تشجيعه علي المضي قدمًا في الحفظ والتلقي، ففي ختم كل جزء كانت تُقام حفلة ختم، يخرج فيها الصبي من الكُتّاب مع أفراد عائلته وبقية الصبيان حيث تنطلق الزغاريد منطلقين إلى البيت الذي يعد فيه الأب وليمة الطعام، بينما يتلقى المعلم جائزته التي كانت عبارة عن كسوة أو ٥٠٠ ودعة، بينما في بعض الأماكن الصحراوية كان من شدة اهتمام الأسر بتعليم أبنائهم القرآن ومبادئ الإسلام كانوا يتبعون نظام المشاركة أو المشاطرة والذي يعني أن المعلم ينال أجره من التمر أو الحبوب التي تخرج من الأرض التي يستزرعونها[١].

وكانت مناسبة تكريم الصبي بعد حفظه للقرآن كاملًا تتم باقامة وليمة كبيرة، حيث يأخذ التلميذ اللوح ويطوف به على بيوت معلميه وأقاربه[٢]، ويصحبه في طوافه هذا جمع كبير من زملاء الدراسة، ويسمع في كل مزار الجزء المكتوب على اللوح، كأنه يقنع سامعيه أنه قد أكمل حفظ القرآن وبعد ذلك يعطي الهدايا والدراهم، ويذبح أبوه الغنم والبقر في بيت الشيخ الذى تولى تحفيظه القرآن [٣].

وكان يدعى إلى تلك الوليمة الضيوف من الأهل والأقارب والجيران، حيث كان يتوج الصبية بلبس أحسن الثياب، ثم يحملون على دابة ويطاف بهم في أرجاء البلدة، ويقدم لكل بيت يمرون عليه هدية، وخلاف ذلك كان لهم احتفالية تسبق ليلة القدر بخمسة أيام، حيث يلبس هؤلاء الصبية أحسن الثياب ويطوفون بالقرية في موكب عام، على أن يمنحهم كل من يأتون لداره بعض الهدايا للشيخ من نقود أو حبوب[٤].

وقد اختصت مالي بطقوس احتفالاتها بحفظ أبنائها وختمهم لحفظ القرآن، إذ كان يتم ذلك على مراحل حسبما يحدده الشيوخ القائمين على عملية الحفظ بالخلاوي والكتاتيب[٥]، فقد كانت الاحتفالات في تلك المناسبات فرصة لجمع الأموال والأطعمة للمعلمين والفقراء وطلبة العلم، وكان حجم الاحتفال متناسبًا مع مقدار ما حفظة الفتى من القرآن، إلى أن يصل إلى الاحتفال بحفظ الفتى للمصحف كاملًا، عندها يقوم أهله بإهداء الأراضي الخصبة والأموال الطائلة للفقراء والمحتاجين[٦] إن كان ذويه من الموسرين[١].

---

[١] محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٥٠.

[٢] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨١.

[٣] منى عادل حسين: الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا، رسالة ماجستير غير منشوره، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١١٢، ١١٣.

[٤]جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن ١٣-١٩ هـ، دكتوراه غير منشوره، جامعة الجزائر، ٢٠١٤م، ص ٢٢٢.

[٥] إلى جانب المساجد كانت هنالك الكتاتيب القرآنية، التي تقوم بتعليم الأطفال وتربيتهم على القراءة والكتابة وحفظ بعض السور عن ظهر قلب، وهي المرحلة الأولى من مراحل التعليم التي يمر بها الطالب منذ صغره، حيث يتعرف على الحروف الهجائية، ويبدأ في حفظ كتاب الله العزيز في سنٍ مبكرة، ليتسنى له فيما بعد متابعة دراسته لفهم واستيعاب العلوم الشرعية المرتبطة بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية، كتفسير القرآن، والحديث.

[٦] السعيدي: ملوك السودان، ص ١١٣-١١٤.

وكنوع من التكريم لحفظة القرآن الكريم وأهله وتمييزهم عما سواهم، كان يطلق لقب "قوني" – أحد ألقاب العلماء– على كل من حفظ القرآن وأجاده وكتبه من أوله إلى آخره عن ظهر قلب [٢].

وهنالك من الشواهد الكثيرة ما يدلل على تعلق أهل مالي ببركة القرآن وأهله من ذلك قول المؤرخ الفقيه السعيدي في وصف مدينة تمبكتو أنها "مدينة القرآن التي ما سجد على أديمها لغير الرحمن"وكان حكام مالي يطيلون الإقامة داخل أسوارها تبركًا ويفد إليها الموسرين من الأعيان والعامة للاستماع لقرائها الحفظة المجودين[٣].

فقد كان من المعتاد أن يخطو الصبى أولى خطواته التعليمية تحت يد معلم، وعادة ما يكون هذا المعلم من الأقرباء أو من نفس البلدة، أو على يد والده[٤].

إذا كان الوالد ذا قراءة [٥] حيث جرت العادة عند كثير من المسلمين أن يسلموا أبناءهم إلى مقرئ القرآن الكريم وذلك حتى وإن كان الوالد آية في الحفظ والإتقان، والغرض الرئيسي هو استئصال شعور الدلع والدلال من الصبي، فالتوسل والاستجداء لا يعني أن آباءهم عاجزون عن توفير المعيشة لهم، وإنما المقصد منه هو ترويض نفوسهم على شظف العيش، وإزالة أي أثر من آثار التكبر[٦]، وكان الطفل يظل طوال أيام الأسبوع حبيس التلم والحفظ إلى أن يمنح عطلة أسبوعية عادة ما كانت أيام الخميس والجمعة وهو ما عبر عنه الوزان "ولهؤلاء الأطفال شأن طلاب المعاهد يومان في الأسبوع للراحة لا يكون فيه تعليم ولا دراسة"[٧].

ثم يرسل إلى شيخ آخر مقرئ حتى يتم لوحه الأول والثاني[٨]، وبعد لوحين أو ثلاثة يمضيها تحت إشراف شيخه، يكون الصبى قد حفظ القرآن حفظًا جيدًا يتلوه من أوله إلى آخره بدون تلعثم أو تردد عن ظهر قلب، فيشرع بعد ذلك في تعلم علوم القرآن الأخرى، مثل فن الرسم وقواعد الإملاء للقرآن الكريم[٩]، ولم يكن

---

[١] المصدر السابق، ص ١١٣.

[٢] إبراهيم طرخان: دولة البرنو الإسلامية، ص ١٨٣.

[٣] ملوك السودان، ص ١١٣.

[٤] حفظ الشيخ عثمان بن فودي القرآن الكريم على يد والده الشيخ محمد فودي (أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م، ص ٦١.)

[٥] المرجع السابق، ص ٦١.

[٦] عمر محمد صالح الفلاني: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، المجلد العربى, ٢٠٠٧م، ص ٩٦.

[٧] وصف افريقيا، ج ٢، ص٢٦٤.

[٨] تعبير اللوح في عرف القراء هو القراءة من أول السورة من القرآن إلى آخر السورة منه وبما أن الدروس تكتب على الألواح للحفظ والتمرن على الكتابة، لذلك يطلقون كلمة اللوح بمعنى القراءة مجازا، فتسمعهم يقولون إن فلان جيد اللوح وهم يقصدون أنه يحفظ حفظا جيدا ودقيقا.(المرجع السابق، ص ٧٦– ٧٧)

[٩]عمر محمد صالح الفلاني: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقيا، ص ٧٧.

يقتصر الأمر على مكتب واحد أو مدرسة قرآنية واحدة، بل كان بعض الطلبة يتنقلون بين الكتاتيب القرآنية لتلقى العلوم القرآنية المختلفة ثم يعودون إلى موطنهم الأصلي حفظة وعلماء[١].

وبعد إتقان الصبى لفن الرسم القرآني والإملاء كان بإمكانه الشروع في تعلم علم التجويد، الذى لم يكن يعني التوقف عن التلاوة حيث كان من الدارج أن يقوم الصبى بالانتهاء من تلاوة القران وختمه مرة كل أربع وعشرين ساعة على الأقل[٢]، وبعد انتهاء الصبى من إجادة التجويد، يعود من جديد إلى حبره وقلمه ليكتب لوحًا كاملًا، وقد تختلف مستويات الإجادة من صبى لآخر، إلا أن أنصاف الحفاظ لم يكونوا يمنحون إجازة حفظ القرآن الكريم، فالإجازة كانت تتطلب أن يسمع منه القرآن من أوله إلى آخره تلاوة عن ظهر قلب والإجابة عن أسئلة شيخه المختلفة والمتعددة والتي تشمل كافة ما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه التجويدية، وغالبًا ما يكون هذا اللوح الأخير بحضور جمع من الحفاظ المشهود لهم للتأكد من أهلية الطالب للإجازة التي ستمنح له[٣].

ب- مظاهر احتفاء العامة بالعلماء والقضاة فى مملكة صُنغى:

وقد استحقت طبقة العلماء والفقهاء لتكريم العامة واحتفائها بها نتيجة لإندماجها في المجتمع الصُنغي من خلال الممارسات والحياة اليومية والمناسبات الاجتماعية، فقد كان هنالك من العلماء من كان يقيم في المراكز الإسلامية حيث يقوم بالتدريس وتعليم الناس أمور دينهم، بدءً من الإمامة في الصلاة، وخطبة الجمعة، وجمع الزكاة والصدقات، وتوزيعها على مستحقيها، وعقد القران، وحضور حفلات الزواج، وتسمية المواليد، وإمامة الناس في صلاة الجنازة، وتحفيظ الصغار القرآن[٤].

ومنهم من كان يتنقل مع التجار في ترحالهم، إذ كان الداعية يعمل تاجرًا[٥]، وفى بعض الأحيان كانت القوافل التجارية تضم بعض أفراد من الدعاة من غير التجار[٦]، فهو من كان يقوم بحفظ السجلات التجارية كونه متعلم، ولكونه رجل عالم بالدين، لذا كان يتبرك به في اختيار التوقيت واليوم المناسب لتحرك القافلة، فقد كان وجوده يضفي جوًا روحانيًا بمواعظه الدينية، وفضلًا عما كان يقدمه الدعاة أثناء ترحالهم هذا من مواعظ دينية لزعماء العشائر المحليين، والذى غالبًا ما كان يقابل بتزويج المعلم بواحدة من بنات الزعماء

---

[١] عمر عبد الماجد عبد الرحمن: تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط ١٧٥٨ – ١٨٦٤، فبراير ٢٠٠٤م، ص ١٥٥.

[٢] عمر محمد صالح الفلاني: الثقافة العربية الإسلامية، ص ٨٨.

[٣] المرجع السابق، ص ٩٣ – ٩٩.

[٤] باي بن عمر: نوازل الشيخ باي بن سيدي أعمر الكنتي، جمعها محمد الصغير بن أعمر بن سيد محمد بن سيد المختار الكنتي في جزئين، مخطوطات الغرب الافريقي،(د.ت)، ص ١٦ و١٣٩.

[5] Lewis, I. M., Islam in tropical Africa, Rutledge, 1980,p 20. and Blyden, E. W., Christianity, Islam and the negro race, Martino Publishing, USA,2016, p11.

[6] Trimingham, J. S., The Influence of Islam Upon Africa. African affairs,V69,N274,1970, p39

هؤلاء ليكون ذلك بمثابة مجتمعًا إسلاميًا جديدًا صغيرًا[١]، ونتيجة لذلك فقد احتفظ أهل صُنغي على مر العهود للفقهاء والعلماء بمكانتهم الرفيعة إذ كانوا يجلونهم ويحتفون بهم ويعاملونهم بالترحاب في كل مكان، بل لقد كان الوثنيون من أهل مالي وصُنغي يلتمسون الخير على أيديهم ويوكلون إليهم تعليم أبنائهم[٢] وجميع تلك المظاهر مثلت الدافع الأول للعامة من أهل صُنغي للاحتفاء بكل من له صلة بالعلم والعلماء والقضاء.
فقد ارتفعت مكانة القضاة في مملكة صُنغي لدى أفراد طبقة العامة ومن ثم كان احتفائهم بهم وتقديرهم لمكانتهم[٣].

وكان الاحتفاء بحفظة القرآن فى مملكة صُنغى حدثًا مهمًا، لديهم حيث كانوا يتميزون بالعناية الشديدة بحفظ القرآن الكريم فكانوا يبعثون أطفالهم إلي معلم القرآن في الكتاب ليعلموهم مبادئ قراءة القرآن الكريم وكذلك فرائض الدين الإسلامي [٤]، وكانت احتفالات العامة فى صُنغى لحفظة القران الكريم تبدأ بانتهاء الطفل من حفظه للقرآن الكريم، وإجادة القراءة والكتابة، أى عندما يتم تخريجه من الكُتّاب، وكانت مراسم هذا الاحتفال تتنوع من أسرة إلى أخرى حسب الحالة المادية لأسرة الطفل المتخرج، فكانت بعض الأسر تقوم بذبح عدد من الإبل أو الخراف، أو تقوم بتجهيز الموائد السخية، وتقام الأفراح إن كان والد الطفل من الأغنياء، وأحيانًا يختصر الحفل على الأهل والأقارب والأصدقاء إن كانت الأسرة فقيرة، وبصفة عامة فإن تخرج الطفل من الكُتّاب يعد يومًا مشهودًا بالنسبة للطفل وأسرته، وخاصة إن كان الأول، أو الوحيد في الأسرة، وأحيانًا كان بعض الآباء يقومون باحتفال صغير كلما أنهى الطفل حفظ ربع القرآن الكريم[٥]، وأيضًا كان والد الطفل الحافظ للقرآن فكان يتعهد بتقديم هدية ثمينة للمعلم المحفظ للقرآن[٦].
وبذلك يتضح أهمية العلماء والقضاة لدي العامة ومكانتهم لديهم، وكان العلماء والقضاة هم من أعانوهم علي أن ينالوا حقوقهم، وكان العلماء والقضاء يحرصون علي مشاركتهم احتفالاتهم ، وقد حرص العلماء والقضاة علي حضور الاحتفالات بالمراكز الدينية ومشاركة طقوس الاحتفال بها وهذا ماسيتم عرضه.

ثالثًا: الاحتفال بالمنشآت والمراكز الدينية:

مع انتشار الثقافة الإسلامية في أوساط الآفارقة بصفة عامة، وفى السودان الغربي (مالي وصُنغي بصفة خاصة) مع انتشار الإسلام في السودان الغربي، فقد شكَّلت المساجد واحدة من أهم مراكز التعليم بحواضر

---

[١] مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام ، ص٩٧.

[٢] توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، ١٩٧٠م، ص ٣٩٢ – ٣٩٣.

[٣]محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٧٢، ٧٣، كرم الصاوي باز: البيت والعائلة السنغائية زمن الأسكيين (٨٩٩ – ١٠٠٠هـ / ١٤٩٣ – ١٥٩١م)، ص ١٦.

[٤] حفصة آدم زونغورانا: صورة إفريقيا جنوب الصحراء من خلال كتب الرحالة المسلمين، ص٦٣

[٥] بشير قاسم يوشع: وثائق غدامس، وثائق تجارية تاريخية اجتماعية، منشورات مركز دراسة جهاد الليبين للدراسات التاريخية، ليبيا، ١٩٩٥م، ص ١٩٧.

[٦] الوزان: وصف افريقيا، ج٢، ص٢٦٤.

السودان الغربي، وإلى جانب المساجد تذكر الكتاتيب القرآنية[١]، التي كانت مختصة بتعليم الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة، وحفظ كتاب الله العزيز في سنٍ مبكرة، ليتسنى لهم فيما بعد متابعة دراستهم لفهم واستيعاب العلوم الشرعية المرتبطة بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية، كتفسير القرآن، والحديث.

اختلفت مظاهر الاحتفاء والاحتفال بتشيد تلك المساجد والكتاتيب من حاكم لأخر، فتارة كانت مظاهر الاحتفال تأخذ طابع الحرص على أن يكون بكل مدينة، بل وكل قرية مسجد وكُتّاب لتعليم الأطفال أبجديات القراءة والكتابة، وتارة أخرى كانت تأخذ مظاهر إحياء الحياة العلمية والثقافية ورعاية الطلاب المتعلمين من أبناء المملكة في كل من مالي صُنغي، وبناء على تلك المظاهر، فقد كان إنشاء الكتاتيب على مستوياتها بجانب المساجد قديم العهد بمملكتَىّ مالي وصُنغي وخاصة في مدينة تمبكتو، إذ يرجع الفضل في ذلك إلى منسى موسى الذى أراد إحياء الحياة العلمية والثقافية في بلاده، مجاراة لما كان قائم بمختلف عواصم العالم الإسلامي، فأنشأ المساجد والكتاتيب وخاصة في مدينة تمبكتو وأغدق على الطلاب الذين يفدون إليها لتلقي العلم[٢].

أ- المساجد فى مملكتَيّ مالى وصُنغى.

---

[١] الكُتَّاب والجمع" كتاتيب": وقد تنوعت مسميات الكتاب حسب المكان والزمان، فسميت تارة بمدارس معلمِي الصبيان، وتارة أخرى سميت بالمحضر، ووردت تارة أخرى بلفظ المكتب، وتم التعبير عنها بلفظ المدارس القرآنية، وأخرى باسم "مدرسة اللوح" هو أول مكان من أماكن التعليم الإسلامي، حيث كان الطفل يرسل إليه لتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرأن الكريم، وكان في الغالب عبارة عن غرفة متواضعة الأثاث أو غرفتين على الأكثر تتسع للأطفال الذين يشرف عليهم المعلم أو النقيب، وغالبًا ما كان يلاصق المسجد وقد يكون بعيدًا عنه، ونادرًا ما يكون داخل المسجد، وكان يشرف عليه معلم، قارئ، حافظ، مثقف يتخذ من التعليم حرفة وقد يشترك أكثر من معلم واحد في كُتّاب واحد إذ كان عدد الأطفال فيه كثير، وكان الطفل في العادة يبدأ يومه من الصباح الباكر بحفظ حزب من القرآن، ثم يبدأ بالنسخ والكتابة، والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر، ثم يعود للبيت من أجل الغذاء، ثم يستأنف بعد صلاة الظهر حتى فترة العصر. وكانت هنالك رسوم يقوم الصبى المتعلم بسدادها للمعلم، تلك الرسوم كانت تدعي "حق الأربعاء" أو ما يمكن استبداله بأن يقوم التلميذ بالذهاب إلى مزرعة المعلم مرة في كل أسبوع للاشتغال تطوعًا دون أجر، وعادة يكون يوم الأربعاء، والأربعاء هذا يسمونه أربعاء المعلم، كانت تتخلل فترة حفظ الصبي للقرآن ختمات يكرم فيها الصبي من أفراد عائلته وبقية الصبيان، ويتلقى المعلم جائزته في ذات الوقت. (محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص١٨٠، السعيدي: ملوك السودان، ص٥١، ٥٨، محمد أسعد طلس: تاريخ التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة،٢٠١٤م، ص ٦٥، مهدي رزق الله: حركة التجارة والإسلام، ص ٢٨١، محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص٥٥٠- ٥٥١، الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ٢٠١٢، ص ٩٤، علي أبو بكر محمد: الثقافة العربية في نيجيريا من أوائل القرن التاسع عشر الى استقلال البلاد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٩٦-٩٨، عمر محمد صالح: الثقافة العربية الإسلامية في غرب إفريقي، ص ١٠٥.

Montiel V, La civilization du chameau. 1948. P. 153.

[٢] المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج١، ١٩٥٥م، ص١١٣.

عرفت عمارة المساجد الأولى في السودان الغربي ببساطتها وببعدها عن الزخرفة، فلم تكن النشأة الأولى للسجد فى مملكة مالى على ذات النمط المعهود اليوم، بل كانت تبنى بصورة بدائية لا تكاد تتعدى الكوخ المسقف بالقش[١]، حتى بالرغم من قلة عددها، فقد كانت تفتقد إلى اللمسات الفنية المعمارية، فأغلب المساجد بمدن مملكة مالى كانت عبارة عن مساحات محدودة من الأرض الفضاء تحيطها الكثبان الرملية وبعض الحجارة التي تفصلها عن الطريق العمومي[٢].

وبمرور الوقت، فقد شهدت تلك البنايات نوعًا من التطوير من حيث ازدياد مساحاتها، واعادة تخطيطها، واستخدام أنواع أخرى من مواد البناء التى تتحمل التغيرات المناخية، بل وتطوير الأشكال والتصميمات المعمارية لها، وبناء على ذلك فقد استبدلت الاكواخ ببنايات من الطين مثلمَا كان الحال عند تشييد وبناء أول مسجد في غاو، وبدلًا من استعمال القش فى التسقيف، فقد استخدمت أعواد النخيل والأشجار، وتطور التصميم لتصبح المنارة ذات الشكل الهرمي والمحراب المبني بالطين المشوي هما النمط الجديد للبناء[٣].

وبوضع المهندس أبو إسحاق الساحلي أسس الطراز السوداني الغربي في عمارة المساجد، فان ذلك يعد تأكيدًا على أصالة العمارة الدينية التي أدخلت للسودان الغربي، وهكذا كان التأثير المعماري ذو الخلفية الإسلامية حاضرًا في أذهان حكام مالي، وهو ما يفسِّر كثرة المساجد التي شيَّدت بالمملكة[٤]، تم جلب مهندسين معماريين من العالم الإسلامي، وخاصة من الأندلس، وبذلك ظهرت المساجد كثيرة الزخارف والنقوش والكتابات وزيدت على المساجد المآذن[٥].

وخلال العهود المتتالية لملوك مالي و صُنغي، فقد أسهم وصول العديد من الخبرات الهندسية والفنية القادمة إلى السودان الغربي في تطوير بناء المسجد وطرزه لتمزج بين الفن العربي الأفريقي حيث أسلوب البناء، الذي يعود في الأصل إلى الهندسة المعمارية في المغرب، والأسلوب السوداني في العمارة الذى يستند على البساطة والسهولة، فقد شيدت المساجد لتكون أشبه بقلعة يعلوها برج، حيث الجدران المرتفعة عن سقف المسجد التى تأخذ شكل سور مسنن، بينما غاصت الأعمدة بانتظام وتناظر في الجدران، لتكون سندًا لسقف المسجد، وقد اختفت القباب ليحل محلها السقف الخشبي، وأخذت المآذن الشكل الهرمي تعلوها مسطح منخفض صغير يقف فيه المؤذن[٦]، بينما احتفظت بعض المساجد بالطابع المغربي حيث المئذنة المضلعة، ومع الإقلال في النقوش في المساجد، فقد استعيض عنها بالخطوط الهندسية والآيات القرآنية بالخط الفاسي المميز[٧]، وبقيت المحاريب على النمط المغربي وبهذا، فقد كان الشكل العام للمسجد مستطيلًا أو مربعًا، إلا أن بعض المساجد قد شيدت على شكل يشبه الكوخ، أما مادة البناء في بعض المساجد فكانت من الحجارة

---

[١] العمري: مسالك الابصار،ج٢، ص١١١.

[٢] نعيم قداح: افريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص١١٢.

[٣] المرجع السابق، ص١٥٣.

[٤] أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، ص ٢٠٩.

[٥] علي محمد مختار: دور المسجد في الإسلام، مجلة دعوة الحق، س(٢)، ع(١٤)، ١٩٨١، ص ٦.

[٦] نعيم قداح: افريقيا الغربية فى ظل الاسلام، ص ١٥٨-١٦٠.

[٧] انتا ديوب: أفريقيا السوداء، ص ٤٩.

أو الطين اللبن المجفف أو المشوي، والقباب الطينية المخروطة كانت الطابع العام لبناء الأكواخ المستديرة[١].

وقد ارتبطت المساجد في الإسلام بالتربية الإسلامية وغيرها من أمور الحياة اليومية، حيث كان المسجد في بدايات الدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة المحور الرئيسي لتسيير أمور المملكة، ومكانًا للعبادة، وإقامة العدالة فلما تعددت مهمته زادت أهميته، واستمر المسجد في تأدية رسالته ليكون دارًا للعبادة، ومحكمة للتقاضي ومكانًا للدراسة[٢].

وعلى ذات النهج، ارتبط انتشار المساجد فى كل من مملكتَىّ مالى وصُنغى بانتشار الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء البلاد وهذا ما دعَا السلاطين والحكام إلى بناء عدد كبير من المساجد[٣]، وأصبح لكل مدينة مساجدها وأئمتها ومؤذنوها[٤]، وخطباؤها ووعاظُها، الذين يتقاضون رواتب ثابتة من قبل الحكام[٥].

وقد اعتبرت جميع مساجد مالي وصُنغي مراكز تعليمية وقد كان من أشهرها الجامع الكبير الذى يعتبر من أقدم مساجد تنبكت وأكبرها[٦]، ومسجد سنكوري في تنبكت[٧]

---

[١] جبريل نيان: مملكة مالي، ص ١٣٢.

[٢] سعد مرسى أحمد: تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة،١٩٧٤م، ص ٩٠، عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ج٣، ١٩٧٨م، ص ١٥٣.

[3] Niane, D. T., Le Soudan Occidental au Temps des Grandes, Presence Africa (French ed.), 2011, p 301.

[٤] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٩٣، ١٠٦، ١٠٨.

[٥] المصدر السابق، ص ٣٢،١٨٠، إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الاسلامية، ص ١٤٨.

[٦] بني في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي (٦هـ / ١٢) بحسب ما ذكر السعيدي، وفي نص آخر للسعيدي يقول فيه: "أما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى (٧٠٧ – ٧٣٣هـ / ١٣٠٧– ١٣٣٢) صاحب ملي (مالي) هو الذي بناه، وصومعته على خمسة صفوف، والقبور لاصقة به من خارجه من جهتي اليمين والمغرب"، وعرف أيضًا بجامع جانكوبر، وقد أنفق عليه الشيخ العاقب أموالًا طائلة، بلغت ٦٧ مثقال إلا ثلث يوميًّا، وقد استغرق بناؤه قرابة ثلث عام، وقد أعاد بناءه المهندس الأندلسي أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجن، الذي اصطحبه منسا موسى أثناء عودته من الحج إلى غرب إفريقيا (٧٢٤هـ / ١٣٢٤م).(السعيدي: ملوك السودان، ص٢١، محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب ،١٩٩٩م، ص ٧٩ – ١٠٣.)

[٧] بنى في القرن السادس أو السابع الهجري، وقد تحدث عبد الرحمن السعيدي في كتابه تاريخ السودان عن بناء هذا المسجد بقوله: " أما مسجد سنكرى فقد بنته امرأة إغلالية (من قبيلة الأغلال من جبال أدرار الصحراوية،) ذات مال كثيرة في أفعال البر"، وسمي بهذا الاسم للدلالة على السيدة البيضاء باللهجة السودانية المحلية، وكان هذا الجامع بمثابة جامعة لإفريقيا الغربية. (محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٢١، السعيدي: ملوك السودان ص ٦٢، أحمد مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين١٠و١١ هـ/١٦و١٧م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الأفريقي، دار المدار، القاهرة، د ت، د ط، ص ١٩٥،

ومسجد سيد يحيى التادلسي[١]، إضافة إلى عدة مساجد أخرى كان لها دورها البارز في مجال الدعوة الإسلامية، كمسجد خالد في مدينة تنبكت[٢] ومسجد القصبة[٣]، وجامع التواتيين[٤]، فقد أدت هذه المساجد دورها في إثراء الحركة الثقافية، اذ كان يجتمع فيها العلماء الوافدون من أنحاء العالم الإسلامي، كما كان يفد إليها الناس من كافة أرجاء السودان الغربي لتلقي العلم في مساجدها وجوامعها، ومن أشهرها جامع سنكوري الشهير، الذي كان يضاهى في مكانته العلمية الجامع الأزهر، وبكونها كانت مقرًا للدعوة الإسلامية ومركز اشعاع للثقافة العربية والإسلامية فقد كان يطلق عليها إسم المراكز الثقافية في مالي، كانت كومبي وولاتا ونيما، تمبكتو وجني وغاؤ من أشهر تلك المراكز[٥]، فقد عرفت تمبكتو، منذ القرن الثاني عشر كمركزًا ثقافيًا كبيرًا، إذ كانت تشتهر بمسجديها الكبيرين (جانكوبر وسانكوري) اللذان اعتبرَا كجامعتين إسلاميتين يقصدهما طلاب العلم، حيث ذكر أن تمبكتو قد استوردت كثيرًا من الكتب العربية، وكانت مدينة جني[٦] مثالًا مصغرًا لتمبكتو، فقد كانت تعج بوفود الطلاب نظرًا لكثرة مدارسها[٧]، وهنا يمكن القول بأن أهمية المسجد في مملكتَىّ مالى وصُنغى قد تأتت من كونه مراكزًا تعليميًا، خاصَة بعدما ألحقت به المدارس التعليمية فى فترات لاحقة [٨].

وكانت المساجد والكتاتيب مكانًا للعلماء والقضاة يجمعون الناس فيه سواء للتعليم أو لفض نزاع أو للاحتفال فقد كان العلماء والقضاة يشاركونهم شعبًا وحكامًا في الاحتفال.

شهدت مظاهر الاحتفاء والاحتفال بتشيد المساجد وافتتاحها ورعايتها اختلافًا من بلد لأخر ومن حاكم لأخر، فتارة كانت مظاهر الاحتفال تأخذ طابع الحرص على أن يكون بكل بقعة من أرض المملكة مسجدًا يكون مركزًا للعبادة ونشر الدعوة كما كان الحال فى مملكة مالى، مثلمَا كان يفعل السلطان منسا موسى الذى كان يأمر ببناء مسجد في كل مدينة في بلاده يشهد فيها يوم الجمعة، أو في رواية أخرى، نقل فيها عن العالم محمود كعت صاحب "تاريخ الفتاش" أن السلطان موسى صاحب مالي(٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩-١٣٤٠م) قد

---

[١] وهو أول مسجد بني في تمبكت، والذي شيده محمد نفي من قبيلة آجر الصنهاجية وحاكم تنبكت من قبل سلطان التوارق آكل، وذلك قبل عهد منسى موسى، وقد تعرض للتخريب، ثم أعيد بناؤه زمن الأساكي عام ١٥٦٨م، ولما اكتمل تشييد هذا المسجد عين العالم سيدي يحيى التادلسي المتوفى سنة ٨٦٦هـ / ١٤٦١م إماما له.(السعيدي: ملوك السودان، ص ٢٢.)

[٢] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٢٢.

[٣] السعيدي: ملوك السودان، ص ١٤٦.

[٤] المصدر السابق، ص ٢١٥.

[٥] إنتا ديوب: افريقيا السوداء، ص ٤٥.

[٦] يذكر أنه عندما دخل الاستعمار الفرنسي جني وجد بها خمسة عشرة مدرسة وكثيرًا من الكتب. وقد عطلت المدارس وسرقت الكتب، وقد أغلقت أخر مدارسها عام ١٩١٣م. (نعيم قداح: افريقيا الغربية فى ظل الاسلام، ص ١٤٢-١٤٣).

[٧] المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

[٨] يطلق على المدرسة اسم الكتاب في كثير من مؤلفات الفرنسيين في التعبير التالي: Ecole Coranique

أنشأ أثناء سفره إلى الحج مسجدًا في كل مدينة مر بها[١]، وهذا ما ميز المدن الكبرى في مالي مثل نياني وكوكو (جاو) وتمبكت وجني بالعدد الوفير من المساجد، إذ كانت مساجد مدينة جنى من أجمل المساجد في بلاد السودان الغربي على الإطلاق، وقد شهد بذلك معظم المؤرخين، نظرًا لتشييد بعضها على الطراز المغربي الأندلسي، والبعض الآخر على الطراز السوداني الغربي[٢].

وبذكر مآثر منسا موسى، الذى عرف عنه اهتمامه بإقامة المدن وفى القلب منها المساجد والكتاتيب الدينية ومراكز التعليم مثل سناكور، فقد عمل بدوره على بناء العديد من المساجد لا سيما في مدينة تمبكتو[٣] ضمن عددًا من المدن أمر ببناء المساجد بها في مختلف أنحاء ومدن مالي بعد عودته من الحج[٤]، وقد شهدت بلاده على أثر ذلك تقدمًا في مجالات الفلك والعلوم والرياضيات[٥]، وقد خلف منسى موسى بعد موته ابنه ثم أخيه منسى سليمان اللذين سارَا على نفس الدرب حيث اهتمَا بتشييد المساجد[٦].

وبالتقاء منسى موسى بمدينة غدامس خلال عودته من الحج بالمعمارى أبو عبد الله ابن خديجة الكومي الصنهاجي، (وهو أمير من ولد عبد المؤمن بن علي زعيم الموحدين) في طريق عودته من الحج[٧]، وعند مرورهم بغاو، أبدى الصنهاجي اندهاشه للوضع المتردي للمسجد الرئيسي بها [٨] مما أثار ذلك استياء منسى موسى والصنهاجي أن تكون البنايات التي يعبد فيه الله على تلك الحالة[٩]، وبناء على ذلك، طلب منسى موسى من أبي إسحاق الساحلي بناء أول مسجد في غاو مختلف فى طرازة المعمارى[١٠]، وعليه قام أبو إسحاق الساحلي بتقديم الطابع المعماري الجديد المتمثل فى القبة المربعة الشكل[١١] المزينه بالكلس وأنواع

---

[١] تاريخ الفتاش، ص١٥٨.

[٢] السعيدي: ملوك السودان، ص ١٤، ومحمد المغربي: بداية الحكم المغربي فى السودان الغربي، ص ٥٧٩.

[٣] ابن خلدون: العبر، مج ٧، ص٤١٦.

[٤] جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانع، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، باريس – فرنسا، ج٤، ١٩٨٨م، ص ١٦٢.

[٥] محمد أنور: منسا موسى أغنى رجل في التاريخ، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد الثامن عشر، ٢٠١٥م، ص٣.

[٦] الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والاقتصادي، ص ٦٤.

[٧] ابن خلدون: العبر، ج٦، ص٢٦٧.

[٨] العمري: مسالك الابصار، ج٢، ص١١١.

[٩] نعيم قداح: افريقيا الغربية فى ظل الاسلام، ص١١٢.

[١٠] المرجع السابق، ص١٥٣.

[١١] نور الدين شعباني: الفنون والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، ع٤، ٢٠١٦م ، ص٢٤٧.

الأصباغ المشبعة، والنقوش والتخريم، فكانت من أجمل المباني التي بنيت في مالي ونالت دهشة منسى موسى واستغرابه، حيث لم تكن المملكة تعرف هذا الفن من قبل[١].

وبناءً على ما رآه منسى موسى من إنجاز الساحلي في غاو، طلب منه تنفيذ نفس الإبداع في مدينة تمبكتو التي كانت آنذاك مجرد نقطة التقاء للتجارة [٢]، فقام الطويجن بإعادة بناء المسجد القديم بالمدينة ليكون أكثر ملائمة لإمبراطورية كبيرة كمالي، وبنى موضعه المسجد الكبير بالآجر وهو أمر لم يكن معروف من قبل[٣]، فضلًا عن تدعيم المسجد بإقامة صومعة من خمسة صفوف تجاورها القبور[٤] من الخارج جهة اليمين[٥] وقد أطلق على هذا المسجد الكبير فيما بعد اسم جنجيرير (أي مسجد الكبير)، وظل قائمًا لمدة ثلاثة قرون[٦]، وعلى ذات النمط، وجه منسى موسى جهوده العمرانية في بناء المساجد إلى مدينة جني التي كانت تعج بالبنائين الذين أتقنوا عملية بناء المساجد المعروفة بالبانكو باحترافية كبيرة[٧]، وقد سار السلطان منسا سليمان(٧٤٢—٧٦٢هـ/١٣٣٧-١٣٥٨م) على نفس الدرب من حيث عنايته بعمران المدن وبناء المساجد خاصة في مدينة كانكابا (جنوب غرب باماكو) عندما كان حاكمًا عليها، ثم عندما أصبح ملكًا لمملكة مالي[٨].

ارتبط انتشار المساجد فى صُنغى بانتشار الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء البلاد وهذا ما دعَا السلاطين والحكام إلى بناء عدد كبير من المساجد[٩]، وأصبح لكل مدينة مساجدها وأئمتها ومؤذنوها[١٠].

وخطباؤها ووعاظها، الذين يتقاضون رواتب ثابتة من قبل الحكام[١١]، وكانت مظاهر الاحتفاء والاحتفال بتشيد المساجد تختلف من حاكم لآخر، فتارة كانت مظاهر الاحتفال تأخذ طابع الحرص على أن يكون بكل بقعة من أرض صُنغى مسجدًا للعبادة، وتارة أخرة يكون الاحتفاء والاحتفال بتوسعة المساجد وإعادة تشييد

---

[١] السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٧م، ج٣، ص١٥٢.

[٢] السعيدي: ملوك السودان، ص٢٠، ص٢١.

[٣] جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانع، مج٤، ص١٦٥.

[٤] وقد نقل المهندس الأندلسي هذا النموذج المعماري عن المغاربة الذين كانوا يقيمون القبور بالقرب من المساجد أو بداخلها خاصة أضرحة العلماء والصالحين.(نور الدين شعباني: الفنون والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، ص٢٤٩.)

[٥] السعيدي: ملوك السودان، ص٨٧.

[٦] نور الدين شعباني: مرجع سابق، ص٢٥٠.

[٧] جبريل نيابي: مالي والتوسع الثاني للماندانع ، مج٤، ص١٣٤.

[٨] المرجع السابق، مج٤، ١٩٨٨م، ص١٦٣.

[9] Niane, D. T., Le Soudan Occidental au Temps des Grandes, Presence Africa (French ed.), 2011, p 301.

[١٠] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ٩٣، ١٠٦، ١٠٨.

[١١] المصدر السابق، ص ٣٢ و١٨٠، إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الاسلامية، ص ١٤٨.

المساجد التي كانت قائمة مثلمَا حدث للمساجد الثلاثة الكبرى في عهد الأسكيين وخاصة على يد القاضي العاقب الذي أشرف على التوسعة، وجدد محراب جامع سنكوري[١].

وقد ظلت هذه المساجد محل عناية الكثير من السلاطين والحكام والأثرياء بل وحتى كثير من العلماء وتارة أخرى كانت تأخذ مظاهر الاحتفاء والاحتفال الحرص على خدمة المساجد وفرشها والعناية بها مثلمَا فعل أسكيا داوود عندما أمد المسجد الجامع بعدد من الرقيق للقيام بأعمال البناء، وعدد من الإماء لنسج حصر المسجد وفرشه[٢].

وعلى ذات النهج، فقد تتابعت الإصلاحات والترميمات والتوسعات في المساجد إبان عهد حكم أسرة الأساكى[٣]، ولعل أشهر المساجد التى بنيت فى عهد الأساكى كان مسجد الأسكيا محمد.

وفضلًا عن ذلك فقد أسهم وصول العديد من الخبرات الهندسية والفنية القادمة إلى السودان الغربي في تطوير البناء وطرزه في المنطقة، ففي تمبكتو شيد مسجد سانكوري، الذى أشرف على تصميمه وبناء قسمًا منه المعماري الإفريقي محمد فادي، ثم أنفق على إتمام بنائه قضاة تمبكتو والملك داود ملك غاؤ، أما مسجد جني فقد أشرف على بنائه المهندس إدريس المراكشي، الذى يعتبر مثالًا لتمازج الفن العربي الأفريقي حيث أسلوب البناء، الذي يعود في الأصل إلى الهندسة المعمارية في المغرب، بينما يستند الأسلوب السوداني في العمارة على البساطة والسهولة إذ كان تشييد المسجد أشبه بقلعة يعلوها برج، فقد صممت الجدران لتكون مرتفعة عن سقف المسجد وأخذت شكل سور مسنن، بينما غاصت الأعمدة بانتظام وتناظر في الجدران، لتكون سندًا لسقف المسجد، وقد اختفت القباب ليحل محلها السقف الخشبي، وأخذت المآذن الشكل الهرمي تعلوها مسطح منخفض صغير يقف فيه المؤذن كما كان الحال في مسجد تمبكتو، بينما احتفظت بعض المساجد[٤].

وبهذا يتضح أهمية المساجد في مملكتَيّ مالي وصُنغي، ومدي اهتمام الحكام بها، وأشكال بناءها وتطورها، والاحتفال بإنشاءها، فقد غدت المساجد بمثابة الجامعة التي تلقوا بها تعاليم الدين.

ب- الكتاتيب في مملكتَيّ مالي وصُنغي:

عرف الكُتّاب (بضم الكاف والجمع كتاتيب) فى السودان الغربى والمغرب العربى عامة منذ دخول الإسلام إلى تلك البقاع، بأنه "مدرسة صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، والحساب وتحفيظهم القرآن الكريم، والمكتب موضع الكتابة[٥]، وقد أخذ موضعه فى أول الأمر في إحدى زوايا المسجد، ثم ما لبث أن احتل

---

[١] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٢١.

[٢] المصدر السابق، ص ١٠٦.

[٣] مهدي رزق الله: حركة التجارة والإسلام، ص ٣١٤.

[٤] نعيم قداح: افريقيا الغربية فى ظل الاسلام، ص ١٥٨-١٦٠.

[٥] إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م ج٢، ص٧٨١.

مكانة المنفصل عن المسجد لاحقا[١]، إذ كان الكُتّاب في أبسط صورة له عبارة عن غرفة – أو غرفتين على الأكثر– متواضعتى الأثاث تتسع لعدد من الأطفال الذين يشرف عليهم المعلم أو النقيب[٢] أو"الفقي"، وهو تحريف لكلمة "فقية"[٣]، وكان يشرف على الكُتّاب معلم، قارئ، حافظ، مثقف يتخذ من التعليم حرفة وقد يشترك أكثر من معلم واحد في كُتّاب واحد إذ كان عدد الأطفال فيه كثير[٤]، وقد أخذ الكتاتيب مسميات متعددة في مالي وصُنغي وغربي أفريقية، فقد ذكرت باسم مدارس معلمي الصبيان[٥]، وأخذت اسم"محضرًا"[٦] ووردت بلفظ "المكتب" أو " الكتاتيب القرآنية"[٧].

وقد لعبت الكتاتيب دورًا هامًا إلى جانب المساجد حيث كانت تقوم على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وحفظ بعض السور عن ظهر قلب، وهي المرحلة الأولى من مراحل التعليم التي يمر بها الطفل منذ صغره، حيث يتعرف على الحروف الهجائية، ويبدأ في حفظ كتاب الله العزيز في سنٍ مبكرة، ليتسنى له فيما بعد متابعة دراسته لفهم واستيعاب العلوم الشرعية المرتبطة بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية، كتفسير القرآن، والحديث[٨].

إضافة إلي، فقد كان نظام الالتحاق بالكُتُاب يربى الطفل على الإلتزام، إذ كان نظام الكُتّاب يقضى بأن يبدأ الطفل يومه من الصباح الباكر بحفظ حزب من القرآن، ثم يبدأ بالنسخ والكتابة، والتمرن على تجويد الحفظ إلى وقت الظهر، ثم يعود للبيت لتناول طعام الغذاء، ثم يستأنف بعد صلاة الظهر حتى فترة العصر[٩]، وكانت العطلة الأسبوعية تبدأ بعد الظهر يوم الأربعاء حتى بعد عصر يوم الجمعة[١٠].

---

[١] علي فهمي خشيم، أحمد زروق: والزروقية: دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، دار مكتبة الفكر، ط١، طرابلس، ١٩٧٥م) ص ١٧٠، علي محمد جهان: الحياة الثقافية بمنطقة مصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني خلال الفترة من ١٨٣٥ – ١٩١١م، رسالة ماجستير،جامعة٧ أكتوبر، كلية الأداب، مصراته، ليبيا، ٢٠٠٤، ص ٧٠.

[٢] محمد أسعد طلس: تاريخ التربية والتعليم في الإسلام، ص ٦٥.

[٣] تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب طرابلس، ١٩٨٨م، ص٣٢٦.

[٤]مهدي رزق الله: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، ص٢٨١.

[٥] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨٠.

[٦] السعيدي: ملوك السودان ، ص ٥٨.

[٧] باي بن عمر: مخطوط النوازل، ص ١٤١.

[٨] محمد أسعد أطلس: تاريخ التربية والتعليم، ص ٦٥.

[٩]مهدي رزق الله: حركة التجارة والإسلام، ص٢٨٢

[١٠] وهناك أيضًا العطلة السنوية، والمناسبات المهمة. (Paul Marty. Études sur l'Islam et les tribus du Soudan,Paris, 1920, p. 83.)

ومما لاشك فيه أن أهمية الكتاتيب قد نبعت مما أحدثته من تغيير جذري في نمط الحياة الأفريقية المسلمة المتمثل في التعليم الإسلامي الذي كان ينتشر عن طريق مكاتب القرآن الكريم[١]، وإقبال الأطفال على القراءة والكتابة بشكل واسع النطاق، طبقًا لنظام التعليم الإسلامي الذي يحث كل مسلم على طلب العلم.

اختلفت مظاهر الاحتفاء والاحتفال بتشيد الكتاتيب فى مالى من وقت لأخر حسب قناعة الحكام والسلاطين وحسبما تمليه الحاجة لتشييد تلك الدور، فتارة كانت مظاهر الاحتفال تأخذ طابع الحرص على أن يكون بكل منطقة بل وكل مسجد أحد الكتاتيب التي يفد إليها أبناء المنطقة من الصبية لحفظ القرآن، إذ كان من الملاحظ في مملكة مالي عناية الآباء بحفظ أبنائهم للقرآن للدرجة التي تجعلهم يضعون القيود في أرجلهم إذا أظهروا تقصيرًا في حفظه، فلا تفك عنهم حتى يحفظوا[٢].

وليس أدل على العناية والاحتفاء والاحتفال بتشيد الكثير من الكتاتيب من الروايات التي أشارت بأن عدد مدارس الصبيان "الكتاتيب" في مالي كانت يتراوح ما بين ١٥٠ و١٨٠ كتابًا[٣]، كما أشارت العديد من الدلائل التاريخية إلى كثرة المنشآت التعليمية وخاصة الكتاتيب في العديد من المدن مثل مدينة تمبكتو، وجنى[٤]، وزاغة[٥]، وكنجور[٦] في إقليم كياك، وولاته[٧]، قد اشتهرت هذه المدن بانتشار الكتاتيب بها بشكل كبير حتى وصل عددها إلى مائة وثمانين مكتبًا وذلك في مدينة تمبكتو وحدها خلال عهد الأساكى[٨].

نظرًا لما كان قائمًا من الكتاتيب العديدة فى كل بلد وكل مسجد، إبان فترة حكم مملكة مالى، فقد تمثلت مظاهر الاحتفاء والاحتفال بإنشاء ونشر الكتاتيب فى مملكة صُنغى من قبل ملوكها وحكامها من الأساكي تمثلت في الاهتمام بتلك الكتاتيب القائمة ورعايتهم لأشهر الكتاتيب التي ذاع صيتها إبان حكمهم من خلال الإنفاق عليها وتأمين معيشة القائمين عليها بالرغم من أنه كان هنالك ما كان يعرف بـ "حق الأربعاء" وهو يوم دفع واجبات المعلم أو الرسوم مقابل تفرغ المعلم لتحفيظ الصبيان[٩].

---

[١] ملفل هير سوكوفتش: العنصر الإنساني في التطور الإفريقي، ترجمة: جمال محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٨٤م، ص ٢٢٥.

[٢] ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٥، ص ٦٠.

[٣] محمد المغربي: بداية الحكم المغربي، ص٥٥٠.

[٢] المرجع السابق، ص٨٤ و١٠٤.

[٥] مدينة قديمة على ضفة نهر النيجر في مل وزارها ابن بطوطة، قال أهلها قدماء في الإسلام لهم ديانة وطلب للعلم. (ابن بطوطة: تحفة النظار، ج٤، ص ٣٩٥، إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الاسلامية، ص ١٥٣.)

[٦] مدينة بأرض كياك في صُنغي، لا يسكنها أحد من ظلمة الحكام والجند. (محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٧٩).

[٧] محمد المغربي: : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ١٦.

[٨] محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨٠.

[٩] محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص ٥٥٠.

ولعل أشهر هذه الكتاتيب في مدينة تمبكتو كان "مكتب المعلم على تكريا"[١]، الذى كان يقع في بيته والذى ذكر أن عدد تلاميذه قد بلغ أكثر من مائة وثلاثة وعشرين تلميذًا[٢]، ومكتب آخر هو مكتب أبي القاسم التواتي[٣]، الذى كان يقع قبالة المسجد الجامع في تمبكتو ملاصقًا له، وكذلك بيت المعلم على تكريا[٤]، وقد عمر مكتب المعلم أبي القاسم طويلًا، وتناوب علية عدد كبير من المعلمين، كما كان يدرس فيه فن التجويد، وخاصة في زمن المعلم إبراهيم الزلفي[٥]، الذي اشتهر بحسن تجويده[٦].

وبعد استعراض مكانة العلماء والقضاة في الاحتفالات الدينية في مملكتَيّ مالي وصُنغي (٦٢٨–١٠٠٠هـ/١٢٣٠–١٥٩١م)، فإن العلماء والقضاة والاحتفال بهم له قيمة عظيمة فى المجتمع السودانى عامةً وفي مملكتَىّ مالي وصُنغي خاصة حيث أن الاحتفاء بهم يبين لنا أهميتهم و مكانتهم في المجتمع والتأثير الحضاري والسكاني الذي حدث عن طريقهم التواصل بينهم وبين العالم الإسلامي آنذاك، وقد كان للعلماء والقضاة أهمية ومكانة عليا في الاحتفالات الدينية الاحتفاء للحفاظ علي الدين الإسلامي وشعائره حيث يعكس لنا صورة هامة عن قيمة العلماء والقضاة في الاحتفالات الدينية التي كانت تستمد قوتها من الكتاب والسنة ونرى أهمية وقيمة ذلك في الاحتفال بها من حيث مضمونها وأشكالها، ممثلة بمظاهر الاحتفالات التي كانت متبعة آنذاك من حيث الاحتفاء والاحتفال بتنصيب وتكريم العلماء والقضاة سواء من قبل الحكام أو من عامة الشعب وما كان متبعًا آنذاك، وكذلك مظاهر الاحتفاء بحفظة القرآن الكريم وأهله سواء من قبل عامة الناس، وانتهاء بمظاهر الاحتفال بمراكز المنشآت الدينية وافتتاحها وطقوسها في مملكتَيّ مالي وصُنغي (٦٢٨– ١٠٠٠هـ/١٢٣٠–١٥٩١م).

*****

---

[١] من أشهر مدرسي الكتاب في مدينة تمبكتو خلال القرن السادس عشر الميلادي. (محمود كعت: تاريخ الفتاش، ص ١٨٠)

[٢] المصدر السابق، ص ١٨٠.

[٣] إحدى المدن المشهورة في المغرب.

[٤] وممن أتوا من بلاد المغرب، يذكر منصور الفذاني، والمقرئ إبراهيم الزلفى (السعيدي: ملوك السودان، ص ٥٨.)

[٥] أحد المدرسين في مكتب أبي القاسم المتقدم ذكره. (المصدر السابق، ص ٥٨.)

[٦] المصدر السابق، ص ٥٨.

خاتمة

وفي الختام نُؤكد أن عُرفًا مجتمعَي مالي وصُنغي باحترام وتعظيم العلماء والقضاة لما كانوا يتمتعون بمكانة كبرى لديهم وذلك لما كانوا يملكونه من تعاليم الشريعة الإسلامية، واستعراض مكانة العلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي، و مظاهر احتفال الحكام والعامة بالعلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي والاحتفال بحفظة القرآن الكريم بحضور العلماء والقضاة والتعرض لأثار المظاهر الاحتفالية، إضافة استعراض مراكز الاحتفال بالمنشآت الدينية وطقوسها في مملكتَىّ مالى وصُنغي.

وتم التوصل من خلال البحث إلى عدة نتائج هي:

- أن الاحتفاء بالعلماء والقضاة فى مملكتَي مالي وصُنغي بين مدي أهميتهم و مكانتهم في المجتمع فقد كان الاحتفاء بهم هى السبيل الأمثل للتعبير عن علو شأنهم.
- أن الاحتفاء بالعلماء والقضاة من قبل الحكام والسلاطين فى مملكتَىّ مالي وصُنغي كان يُعبر عن مكانتهم العليا التي كانوا يتمتعون بها لدى الحكام وعامة الناس.
- أن العلماء والقضاة كانوا أصحاب التفوق الفكري والخلقي الذي ساعد كثيرًا على أن يكون للإسلام والثقافة الإسلامية أثرًا واضحًا في المملكتَين، مما أضفى على النواحي الاجتماعية نوع من الارتقاء في مملكتَى مالي وصُنغي.
- كان الاحتفاء والاحتفال بحفظة القرآن الكريم يُمَثِل مظهرًا من مظاهر التعلق بالدين الاسلامى،

ونوع من أنواع التربية الإسلامية التى عمل الماليون والصُنغيون من بعدهم على أن تكون هى السبيل الأمثل للارتقاء بمكانة أبنائهم بين أقرنهم، فضلًا عما سيعود عليهم من رضا الله عز وجل، وما سيعود على أبنائهم بالنفع وعلى مجتمعهم بالخير والنماء بما سيجود به هؤلاء الأبناء من علم وثقافة على من سيأتي بعدهم، وكان العلماء والقضاة في مقدمة الحضور بالاحتفال.

- أن الاحتفال بالمنشآت الدينية له حظ وافر من اهتمام الحكام والسلاطين وعامة الناس فى مملكتَىّ مالي وصُنغي، فكان المسجد والكتاتيب على رأس تلك المنشأت، وكان الاهتمام بهم إنشاءً وعمرانًا وتزيينًا ونظافةً من اهتمامات الحكام والسلاطين وعامة الناس.
- وهكذا يتبين أن النهضة العلمية والثقافية والعمرانية والاجتماعية التى شهدتها مملكتَيّ مالي وصُنغي خلال فترة الدراسة والتى بدت انعكاساتها متمثلة فى مظاهر الاحتفالات التى تم استعراضها خلال الدراسة لم تكن وليدة الصدفة، بل كانت نتاج انصهار شعوب تلك الممالك مع غيرها فى البوتقة الاسلامية التى خلقت من تلك الشعوب كيانات امدت ثقافتها حتى يومنا الحاضر، فقد أنشئت المدن التجارية والثقافية التي كانت لها جامعات ومنشئات ثقافية زاخرة بالعلوم والتى خدمت الإسلام والثقافة الإسلامية والتي أثرت بدورها في النواحي الاجتماعية، إذ أن الإسلام هو دين الفطرة سهل التناول، سهل التطبيق، لا لبس فيه ولا تعقيد في مبادئه.

وهكذا انتهي البحث إلي تأكيد أن العلماء والقضاة في مملكتَيّ مالي وصُنغي، ساعدوا كثيرًا على أن يكون للإسلام والثقافة الإسلامية أثرًا واضحًا في المنطقة، فكانوا حرصين علي أن يشاركوا الحكام والعامة في

الاحتفالات الدينية، وكان العلماء والقضاة شديدي الحرص علي تواجدهم في الاحتفالات مشاركةً للحكام والعامة .

*****

قائمة المصادر والمراجع والدوريات

أولا: المخطوطات:

١- الحاج مرحبا: فتح الحنان المنان بأخبار السودان، معهد البحوث والعلوم الإنسانية، نيامي النيجر، رقم ١٠٨.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

١- باي بن عمر (باي بن عمر محمد بن المختار بن أحمد بن أبي بكر الكنتي، ت ١٣٤٥هـ/١٩٢٧): نوازل الشيخ باي بن سيدي أعمر الكنتي، جمعها محمد الصغير بن أعمر بن سيد محمد بن سيد المختار الكنتي في جزئين، مخطوطات الغرب الافريقي، ج١، (د.ت).

٢- ابن بطوطة(أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن محمد اللواتي الطنجي ت٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم عبدالوهاب التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ج٤، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

٣- البكري (أبو عبيد الله بن عبدالعزيز، ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك، الممالك، مكتبة المثني، بغداد، العراق، ج٢، ١٩٦٨م.

٤- التنبكتي(أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي (ت١٠٣٦هـ/١٦٢٧م): تحفة الفضلاء ببعض فضائل العلماء، تحقيق سعيد سامي، المملكة المغربية، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، نصوص ووثائق، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

ـــــــــــــ: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق محمد مطيع، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ج٢.

٥- ابن خلدون(عبدالرحمن بن أبي محمد بن الحسن ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العجم والعرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، دار الكتب اللبناني، بيروت، ج ٥، الطبعة الأخيرة، ١٩٦٨م.

٦- الحميري (أبوعبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم ت٩٠٠هـ/١٤٩٤م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. حسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط١، ١٩٧٥م.

٧- أبي داود(سليمان بن الأشعث بن اسحق بن بشير، ت ٢٧٥هـ/٨٨٨م): سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج٣، د.ت.

٨- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق، ت ٨٠٩هـ/١٤٠٧م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ج٤، د.ت.

٩- الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري ت ٧١٣هـ/١٣١٣م): كنز الدرر وجامع الغرر"الدرر الفاخر في سير الملك الناصر"، تحقيق: هانز روبرت رويمر، قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار، القاهرة، ج٩، ١٩٦٠م.

١٠- ابن رسته (أحمد بن عمر أبو علي بن رسته، ت نحو٣٠١هـ/٩١٢م): الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ط١، ١٨٩٢م.
١١- ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن سعيد المغربي، ت٦٧٣هـ/١٢٧٥م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٧٠م.
١٢- السعيدي (عبدالرحمن بن عبدالله بن عمران بن عامر السعيدي ت١٠٦٧هـ/١٦٥٦م): ملوك السودان أهل صنغي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر تنبكت ومن ملكها من الملوك، تحقيق: هوداس وبنوه، مطبعة انجى بروين، فرنسا، ١٨٥٨م.
١٣- السلاوى(شهاب الدين أبوالعباس أحمدبن خالد ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج٣، ط١، ١٩٩٧م.
١٤- الطبراني(سليمان بن أحمد بن أيوب، ت٣٦٠هـ/٩١٨م): مسند الشاميين، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.
١٥- العمري(شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وآخرون، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠١م.
١٦- الغرناطي (أبو حامد محمد بن عبدالرحيم الأندلسي، ت٥٦٥هـ/١١٦٩م): تحفة الألباب ونخبة الاعجاب، تحقيق: د.إسماعيل العربي الجزائري، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
١٧- القلقشندي: صبح الأعشى، دار الكتب المصريه، القاهرة، ج٥، ١٩٢٢م.
١٨- ابن قنفد (أبي العباس أحمد بن الحسين ت٨١٠هـ/١٤٠٧م): أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي وأدولف فور، الرباط، المركز الجامعي للبحث العلمي، ١٩٦٥م.
١٩- محمد بلّو بن عثمان بن فودي (ت ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م): إنفاق الميسور في سيرة بلاد التكرور، معهد الدراسات الأفريقية، جامعة محمد الخامس، المملكة المغربية، ١٩٩٦م.
٢٠- محمود كعت(ابن الحاج المتوكل كعت الكرمني ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م): تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور، تحقيق: هوداس ودولافوس، أنجي بريدن، فرنسا، ١٩١٣م.
٢١- المقريزي (أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المقريزي ت٨٤٥هـ/١٤٤٢م): الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ج١، ١٩٥٥م.
٢٢- النباهي(علي بن عبدالله بن الحسن النباهي ت بعد عام٧٩٢هـ/١٣٩٠م): تاريخ قضاة الأندلس، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٢٣- الوزان(الحسن بن محمد الوزان ت ٩٦٠هـ/١٥٥٢م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار العربي الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
٢٤- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبدالله، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م):: معجم البلدان، ، دار صابر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
٢٥- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ/٩٨٢م): كتاب البلدان، المطبعة الحيدرية بالنجف، العراق، ط ٣، ج١، ١٩٥٧م.

ثالثًا: المراجع الحديثة:

١- المراكشي(العباس بن إبراهيم ت١٣٧٨هـ/١٩٥٩م): الإعلام بمن حل بمراكش من الإعلام،المطبعة الجديدة بطالعة فاس،ج٤، ط١، ١٣٥٥هـ / ١٩٣٧م.

رابعًا: المراجع العربية والمعربة:

١- آدم عبد الله الألوري: موجز تاريخ نيجيريا، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.
٢- أحمد الشكري: الإسلام والمجتمع السوداني، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، م١٩٩٩.
٣- أحمد محمد كاني: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.
٤- أحمد مختار العبادي: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط ١٩٧٩م.
٥- أحمد مطير سعد غيث: الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين١٠و١١ هـ/١٦و١٧م، دراسة في التواصل الحضاري العربي الأفريقي، دار المدار، القاهرة، د ط، د.ت.
٦- إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١ ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
ـــــــــــــ: دولة البرنو الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
ـــــــــــــ: إمبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
ـــــــــــــ: إمبراطورية صُنغي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر المجلد الثامن، ١٩٨١م.
٧- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٢، ١٩٦٠م.
٨- إنتا ديوب: أفريقيا السوداء ما قبل الاستعمار، د ن، السنغال، ١٩٦٠م.
٩- إيمان عبد المنعم زهران: التغيرات المناخية والصراع الاقليمي في الشرق الأوسط، المكتب العربى للمعارف، القاهرة، ٢٠١٥م.
١٠- بشير قاسم يوشع: وثائق غدامس، وثائق تجارية تاريخية إجتماعية، منشورات مركز دراسة جهاد الليبين للدراسات التاريخية، ليبيا، ١٩٩٥م

١١- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٢- تيسير بن موسى: المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ١٩٨٨م.
١٣- جميلة محمد التكيتك: مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير ١٤٩٣ – ١٥٢٨، دار الكتب الوطنية، ليبيا، ط١، ١٩٩٨م.
١٤- جبريل نياني: مالي والتوسع الثاني للماندانع، ضمن كتاب تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو، باريس – فرنسا، ج٤، ١٩٨٨م.
١٥- حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٦- حسن حلمي أبو الفضل: السياسة الخارجية لمملكة مالى الاسلامية، جمعية الماجد للثقافة والتراث، مصر، ط ٢٠٠٩م.
١٧- حسن عيسى عبدالظاهر: الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني، طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
١٨- خزعل الماجدي: الحضارة المصرية، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٢٠م.
١٩- سعد مرسى أحمد: تاريخ التربية والتعليم، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤م.
٢٠- الشيخ الأمين عوض الله وآخرون: تجارة القوافل ودورها الحضاري، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، ط ١٩٨٤م.
٢١- الشيخ الأمين عوض الله: العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغي، دار المجمع العلمي بجدة، ١٩٧٩م.
٢٢- عبد الرحمن زكي: الإسلام والمسلمون في غرب إفريقيا، مجموعة ألقيت في معهد الدراسات الإسلامية، مطبعة يوسف، القاهرة، د.ت.
٢٣- عبد الرحمن عمر الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م.
٢٤- عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ١٤٩٣ – ١٥٩١م، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧١م.
٢٥- علي أبو بكر محمد: الثقافة العربية في نيجيريا من أوائل القرن التاسع عشر الى استقلال البلاد، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٥م.
٢٦- علي السيد علي محمود: التبادل التجاري بين مصر وبلاد التكرور وانعكاساته على أحوال مصر المملوكية، ضمن كتاب بعنوان «العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر»، إشراف رؤوف عباس حامد، دار الثقافة العربية، القاهرة، ١٩٨٧م.
٢٧- علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية: دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط١، ١٩٧٥م.

٢٨- عمر عبد الماجد عبد الرحمن: تاريخ الدول والإمبراطوريات الإسلامية في السودان الغربي والأوسط ١٧٥٨ – ١٨٦٤، أروقة، فبراير ٢٠٠٤م.
٢٩- عمر محمد صالح الفلانى: الثقافة العربية الاسلامية فى غرب افريقيا، المجلد العربى، ٢٠٠٧م.
٣٠- فيج. جي. دي: تاريخ غرب إفريقيا، ترجمة وتقديم وتعليق السيد يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٢م.
٣١- كولين ماكيفيدي: أطلس التاريخ الإفريقي، ترجمة: مختار السويفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٧٨م.
٣٢- محمد أسعد طلس: تاريخ التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة،٢٠١٤م.
٣٣- محمد المغربي: بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢م.
٣٤- محمد بن شريفة: من أعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، الدار البيضاء، ١٩٩٩م.
٣٥- محمد رياض، كوثر عبد الرسول: أفريقيا: دراسة لمقومات القارة، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٤م.
٣٦- محمد موسى البر: مجلدات الاسلام في أفريقيا، الاسلام والمسلمين في أفريقيا، دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة، الخرطوم، الكتاب الحادي عشر، ٢٠٠٦م.
٣٧- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، دار الثقافة الجديدة، تونس، ج١، ١٩٧٨م.
٣٨- ملفل هير سوكوفتش: العنصر الإنساني في التطور الإفريقي، ترجمة: جمال محمد أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، عام ١٩٨٤م.
٣٩- مهدي رزق الله أحمد: حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٤٠- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم جغرافيين ومؤرخين ورحالة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٩م.
٤١- نعيم قداح: أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، القاهرة،ط٢، ١٩٧٥م.
٤٢- نور الدين شعباني: محاضرات في ممالك السودان الغربي، دار الجزائر للنشر، الجزائر، ٢٠١٥م.
٤٣- الهادي المبروك الدالي: مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا من القرن ١٣- ١٥م، دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.
ـــــــــــ: التاريخ السياسي والإقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلي بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م.

٤٤- يحيى بو عزيز: تاريخ أفريقيا الشمالية من مطلع ق ١٦ إلى ق ٢٠، دار البصائر، الجزائر، ١٩٩٦م.

خامسًا: الدوريات:

١- إبراهيم علي طرخان: الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، العدد الثاني، ١٩٦٩م، ص ١٩.

ـــــــــــــ: إمبراطورية الفولانيون الإسلامية، مجلة كلية الأداب، جامعة الرياض (الملك سعود)، العدد السادس، ١٩٧٩م.

٢- أحمد صديقي: السودان، ترجمة: أحمد الشنتناوي، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية، ع ١٢، ، القاهرة، ١٩٧٣م.

٣- بشار أكرم جميل الملاح: الجيش على عهد إمبراطورية مالي الإسلامية، المجلة الجزائرية للدراسات الإنسانية، الجزائر، المجلد الأول، العدد الثاني، ٢٠١٩م.

٤- جبريل نياني: مملكة مالي، سلسلة الدراسات الإفريقية، العدد الأول، عام ١٩٦٠م.

٥- حسين عبد الله مراد: مملكة صنعاي، مجلة قراءات، العدد الثالث عشر، يوليو ٢٠١٣م.

٦- دينا أحمد عبدالجواد: دور القضاة والعلماء في مجتمع دولتي مالي وصنغي ٦٣٦-١٠٠٠هـ/١٢٣٨-١٥٩١م، مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم، كلية دار العلوم، ع٥٨، ٢٠٢٠م.

٧- سوزي أباظة محمد: القضاء في صنغاي في عهد الأساكي٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م، مجلة المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم التاريخ، ع٢٨، ٢٠٠٥م.

٨- عثمان بناني: السودان الغربي عند ابن بطوطة وابن خلدون، مقال بمجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، العدد ٢٦٩، إبريل ١٩٨٨م.

٩- علي محمد مختار: دور المسجد في الإسلام، مجلة دعوة الحق، س(٢)، ع(١٤)، ١٩٨١م.

١٠- قمر الدين محمد فضل الله: " لمجة تاريخية عن مملكة سنغاي الاسلامية١٤٩٨-١٥٩١"، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد الرابع، طرابس، ١٩٨٧م.

١١- كرم الصاوي باز: البيت والعائلة السنغائية زمن الأسكيين (٨٩٩ - ١٠٠٠هـ / ١٤٩٣ - ١٥٩١م)، بحث منشور ضمن ندوة" المجتمعات الأفريقية، تطورها التاريخى ودورها الحضارى حتى مطلع القرن الحادى والعشرين"، ١٨-١٩ مايو ٢٠٠٥، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٢- كوثر عبد الحفيظ: نهر السنغال أشهر الأنهار الأفريقية، مجلة أفريقيا قارتنا، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد ٨، نوفمبر ٢٠١٣م.

١٣- محمد أنور: منسا موسى أغنى رجل في التاريخ، مجلة إفريقيا قارتنا، العدد الثامن عشر، ٢٠١٥م.

١٤- محمد عبدو زبير: السيرة الذاتية لأحمد بابا التمبكتي، (١٥٥٦- ١٦٢٧)، مجلة أحمد بابا التمبكتي، بحوث الندوة التي عقدتها منظمة إسيسكو بمناسبة أربعة قرون على ولادته، مراكش ٢٢- ٢٥ صفر ١٤١٢هـ/ ٢-٥ شتنبر ١٩٩١م.

١٥- نور الدين شعباني: الفنون والعمارة في مملكة مالي الإسلامية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، ع٤، ٢٠١٦م.

١٦- هارون المهدي ميغا: امبراطورية سنغاي، دراسة تحليلية في الترتيب التاريخي للإمبراطوريات الإسلامية في غرب إفريقية، مجلة دراسات أفريقية، العدد٣٧، السنة٢٣، يونيو ٢٠٠٧م.

سادسًا: الرسائل العلمية:

١- أحمد سيد حسين درويش: دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنغي، رسالة ماجستير غير منشوره، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢- جعفري مبارك: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن ١٣-١٩ هـ، دكتوراه غير منشوره، جامعة الجزائر، ٢٠١٤م.

٣- علي محمد جهان: الحياة الثقافية بمنطقة مصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني خلال الفترة من ١٨٣٥ – ١٩١١م، رسالة ماجستير، جامعة ٧ أكتوبر، كلية الأداب، مصراته، ليبيا، ٢٠٠٤م.

٤- فاي منصور علي: دولة مالي في عصرها الذهبي على عهد السلطان منسا موسى ٧١٢ / ٧٣٨هـ / ١٣١٢ / ١٣٣٧م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، القاهرة، كلية اللغة العربية، ١٩٨٤م.

٥- منى عادل حسين: الحياة الاجتماعية والثقافية في إمارات الهوسا، رسالة ماجستير غير منشوره، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩م.

٦- نبيلة حسن محمد: انتشار الإسلام في السودان الغربي من القرن الخامس حتى القرن التاسع الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٧١م.

٧- سابعًا: المراجع الأجنبية:

1) Gouvernement general de l, Afique occidentale francaise: Le Soudan. Societe d,editions geogra – phiques maritimes et colonials, Paris. 1931.
2) Hunwick, J. The African Diaspora in the Mediterranean Lands of Islam (Princeton Series on the Middle East), by Eve Troutt Powell and John O. Hunwick, 2002.
3) Lewis I. M. Islam and traditional belief and ritual, In Islam in Tropical Africa, Oxford Univ, press. International African Institute, 1966.
4) Mauny, Raymond, Tableau Geographique de la oust Africain au mouyen- age, Mem de IFANB,No.61, DAKAR,1961.
5) Montiel V, La civilization du chameau. 1948.
6) Nehemia Levtzion: Mamluk Egypt and Takrur, , Studies in Islamic History and Civilization, ed, M. Sharon, Leiden: E, J. Brill, 1986.
7) Niane, D. T., Le Soudan Occidental au Temps des Grandes, Presence Africa (French ed.), 2011.
8) Notes Africaines, Dakar, Avril, N82,1959.
9) Paul Marty. Études sur l'Islam et les tribus du Soudan,Paris, 1920.
10) Rouch, J, “Contribution a L Histoire des Songhay”, Memoire de L I.F.A.N, N(29).

11) Trimingham, J. S., The Influence of Islam Upon Africa. African affairs,V69,N274,1970.
12) United Nations Environment Programme (UNEP) & Water Research Commission (WRC), Fresh water under threat: vulnerability assessment of fresh water resources to environmental change – Africa, (Pretoria: Council for Scientific and Industrial Research UNEP, Report No.4, 2008.